



أقدم لك ...

ديكارت

< تأليف >

ديف روبنسون
كريس جارات

< ترجمة >

إمام عبد الفتاح إمام

المشروع القومي للترجمة

أقدم لك ...

ديكارت

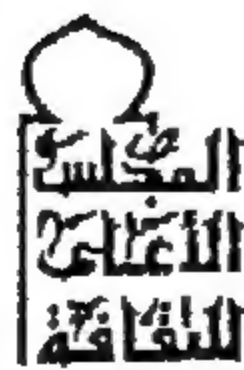
تأليف

وجودي جروفز

ديف روبنسون

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٠١

DAVE ROBINSON

CHRIS GARRATT

INTRODUCING :

Descartes

أقدم لك ...

ديكارت

المقدمة

بقلم المترجم

" أقدم لك ... هذا الكتاب ! "

هناك شكوى عامة من غموض الفلسفة، والتباس أفكارها ومشكلاتها على ذهن القارئ العادى غير المدرب، ولقد كان هيجل يعترض على هذه الشكوى ويردها إلى عاملين أساسيين:

العامل الأول: فهو كسل الناس، ذلك لأنهم يتصورون أن الفلسفة ربما أنها علم «إنسانى»، وعلم «عقلى» - فإن فى استطاعتهم أن يتفلسفوا وأن يفهموا الفلسفة دون أن يبذلوا أدنى جهد فى فهم الأفكار والمذاهب الفلسفية. وهذا خطأ شائع ! لأن الفلسفة كآى علم آخر لها مفاتيحها الخاصة، ومصطلحاتها التى تحتاج إلى جهد ودراسة، فلو أنك فتحت كتاباً فى الطب لوجدته عسيراً بالغ الصعوبة، طالما أنك لم تدرس المصطلحات الطبية الخاصة، بل «أنك لكى تصنع حذاء»، فإن عليك أن تتعلم صناعة الأحذية، على الرغم من أنك تملك فى يديك القدرات الخاصة، وفى قدميك المقاس الخاص^(١).

أما العامل الثانى الذى يجعل من الفلسفة علماً صعباً فهو أن الفلسفة تعنى الارتفاع من المحسوس إلى اللامحسوس أو المجرد أو الفكر الخالص، وهذا الارتفاع يحتاج من القارئ لكى يفهمه أن يبذل جهداً كبيراً، وذلك بسبب التصاقه بالاشياء المادية أو العالم المادى من حوله منذ طفولته الأولى.

وهذه السلسلة «أقدم لك ...» تحاول أن تتغلب على هذه الصعوبة الأخيرة، وأن تقوم بدور فعال فى تبسيط الأفكار الفلسفية عن طريق الصور، والرسوم، والأشكال التوضيحية التى تعبر عن الفكرة الفلسفية دون اخلال بمضمونها أو عمقها، استناداً إلى قاعدة فى علم

(١) قارن ترجمتنا لموسوعة العلوم الفلسفية لهيجل ص ٥٠ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .

النفس تقول : «أن أغلب الناس بصريون» أى أنهم يفهمون الفكرة عن طريق البصر (الأشكال والرسوم، والصور .. الخ) أسرع وأسهل من فهمها عن طريق السمع (المحاضرة، أو النقاش، أو برامج الاذاعة .. الخ)

غير أن السلسلة لا تكتفى بعملية التوضيح والتبسيط عن طريق الرسوم والأشكال المختلفة التى تعبر عن فكر الفيلسوف فحسب، بل أن المؤلفين يقدمان لك فلسفة ديكارت، أو أفلاطون .. الخ فى عبارة موجزة تنم عن فهم عميق للفيلسوف الذى يعرضان فلسفته. وتلك محمداً نحمدها لهما. وربما فعلاً ذلك بطريقة ساخرة أحياناً لكنها فى الواقع تعمل على حفر الفكرة فى ذهن القارئ بحيث يصعب عليه نسيانها بعد ذلك. على نحو ما فعل كتابنا الحالى فى أحلام ديكارت .. وغيرها.

ومحمداً أخرى نحمدها لهما هى أنهما يربطان فكر الفيلسوف بما قبله من مذاهب فلسفية، بحيث يظهر هذا الفكر فى سياقه التاريخى، فإذا تحدثنا عن الشك الديكارتى، مثلاً، حاولنا أن يعرضنا للشك منذ اليونان بقصد لقاء الضوء على فكرة ديكارت أولاً، ثم بيان اختلافها عن الشك القديم ثانياً.

ومحمداً ثالثة هى أنهما يتحدثان عن «تراث ديكارت» ، وأثره فى الفلسفة الحديثة. ثم فى الفلسفة المعاصرة أو فى «عصر ما بعد الحداثة»، مما يكشف لك عن الدور الرائد الذى قام به الفيلسوف فى الفكر البشرى بصفة عامة.

غير أنه لا يفوتهما بعد ذلك كله من توجيه النقد إلى مواطن الضعف وإبراز المفارقات والصعوبات التى تواجه ما يعرضان له من أفكار. ويقدم لنا ذلك قيمة منهجية كبيرة هى أنه لا يوجد مفكر ولا فيلسوف فوق النقد، بل أن النقد عملية بنائية هامة فى تقدم هذا الفكر. وذلك كله يجعل قراءة هذا الكتاب، حتى بالنسبة للقارئ المتخصص متعة لا تقدر ..

وأود فى النهاية أن أوجه جزيل شكرى إلى المجلس الأعلى للثقافة أو إلى أمينه العام الأستاذ الدكتور جابر عصفور لموافقته على ترجمة هذه السلسلة فى المشروع الرائد الذى يقوم به «المشروع القومى للترجمة» متمنياً له دوام التوفيق والنجاح فى إثراء الثقافة العربية. والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد ،

امام عبد الفتاح امام

الهرم فى يناير ٢٠٠١

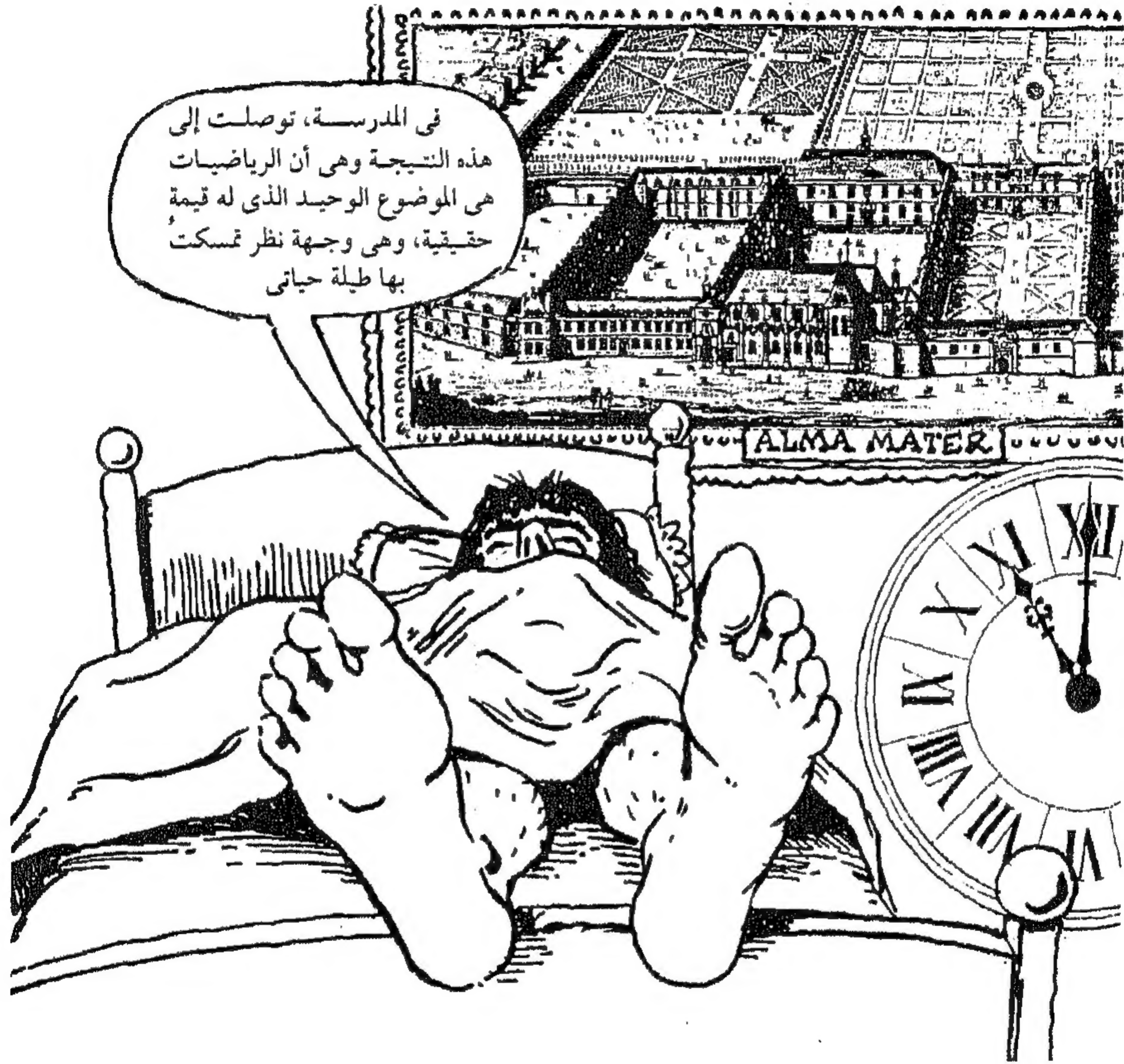
البداية الحديثة : -

يتفق الجميع على أن الفلسفة الحديثة بدأت مع ديكارت، لماذا نقول حديثة؟! لأن ديكارت أصرَّ على أن يفكر لنفسه أكثر من مجرد قبول ما تعلمه فحسب. وبهذه الطريقة اعتقد أن بإمكانه أن يؤسس القواعد والأسس الفلسفية والرياضية لجميع المعارف البشرية. - وهو مطلب طموح تحول في نهاية الأمر إلى رغبة ذاتية وشخصية جامحة. وتشبه فلسفة ديكارت رحلة روحية يدعو فيها القارئ إلى الانضمام إليه ولطالما وعد ديكارت بأن هذه الرحلة سوف يكون لها نتائج غير عادية.



(الطفولة والشباب) : -

ولد رينيه ديكارت عام ١٥٩٦ فى لاهاي فى مقاطعة تورين فى فرنسا (حيث يطلق على هذه البلدة الآن اسم ديكارت) كان والده أحد النبلاء مما يعنى أن رينيه لم يتكبد عناء فى كسب رزقه. أرسل إلى مدرسة اليسوعيين فى لافليش فى انجو. وفى هذه المدرسة الكاثوليكية تعلم اللغتين الإغريقية واللاتينية، كما تعلم الرياضيات والفلسفة الأسكولائية (المدرسية).



كانت صحة ديكارت ضعيفة، ولذلك سمح له بالبقاء فى فراشه صباحاً حتى الساعة الحادية عشرة، وهى عادة ظل يمارسها حتى عندما بلغ سن الرشد. ولقد كان ديكارت دائماً يكرس بعض ساعات الصباح للتفكير العميق، وكان يخصص باقى اليوم للراحة والاسترخاء.

بعد مغادرته مدرسة «لافليش» بفترة قصيرة، ألّف ديكارت كتاباً بعنوان (فن المبارزة) تناول فيه بالتفصيل التعليمات الأساسية للأساليب الفنية والاستراتيجيات الضرورية للتغلب على الخصم. ولقد ذكر البعض أن ديكارت كان مبارزاً جيداً بنفس القدر الذي كان فيه فيلسوفاً جيداً حيث كان من الممكن أن يكون فارساً رائعاً. كان أول عمل نُشر لديكارت هو رسالة صغيرة عن الموسيقى^(١).



وفي نهاية الأمر ذهب لدراسة القانون في جامعة بواتييه University of Poitiers وبالرغم من تأهله لأن يصبح محامياً فإنه لم يمارس مهنة المحاماة على الإطلاق. وبدلاً من ذلك....

(١) كان عنوان الكتاب «ملخص الموسيقى» وقد أهداه إلى صديقه «إسحق بيكمان» الذي كان ملهمه، وأول من أيقظه من خموله!! راجع في ذلك د. نجيب بلدي «ديكارت» ص ٣٢ سلسلة نوابع الفكر الغربي العدد رقم ١٢ (المترجم).

الجندي : -

بدلاً من ذلك قرر ديكارت السفر والترحال ليرى أجزاء من العالم.



كان ديكارت رجلاً ضئيل الجسم ذي رأس وأنف كبيرين وصوت واهن ضعيف وبالرغم من ذلك فقد أصبح جندياً وانضم إلى الجيش في «موريس أوف ناسو» الهولندي، ثم التحق بالجيش الألماني بقيادة ماكسميلين ملك بارفاريا. كانت أوروبا كلها في ذلك الوقت، تمزقها الصراعات التي سُميت باسم حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ - ١٦٤٨) ولم يكن ديكارت صالحاً للحياة العسكرية؛ لذلك انفصل بالتدريج عن الحرب والسياسة وهو يقول: «أنا متفرج أكثر مني ممثل في كوميديا الحياة».



وكان أحد أسباب ذلك التغيير أنه في يوم ١٨ من نوفمبر لعام ١٦١٨ في بلدة بريدا Breda في هولندا أن ديكرت رأى لوحة إعلانات مكتوبة بالألمانية فسأل أحد المارة أن يترجمها له، وكان هذا الغريب هو «إسحاق بيكمان»، الذي أصبح فيما بعد صديقاً حميماً لديكرت.



أحلام ديكارت الثلاثة :-

فى العاشرة من نوفمبر سنة ١٦١٩ وجد ديكارت نفسه محصوراً فى بلدة نيورج أوان دانيوب الصغيرة، فقد كان جندياً غير متحمس إلا لمشاهدة حفل تتويج فرديناند الثانى فى فرانكفورت غير أن شتاء بفاريا كان قارساً مما اضطره لتأجيل رحلته «لقد أعاق الشتاء البارد رحلتى، فاحتجزنى فى غرفة لا يوجد فيها من أحداثه أو يرفقه عنى، لكنى كنت سعيد الحظ، فلم يكن عندى أية مشاعر أو مخاوف تؤرقنى، لذلك قضيت وقتى كله وحيداً فى غرفة دافئة مما أتاح لى حرية التفكير فى آرائى الخاصة، ومناجاة نفسى».



الحلم الأول والحلم الثانى :-

لقد غيّرت الأفكار التى راودت ديكارت فى هذه الغرفة الدافئة التى تحيط بها العواصف الثلجية - غيّرت الفلسفة الغربية كلها إلى الأبد، لقد كانت لديه سلسلة عجيبة من الأحلام الحية غير العادية.



وعندما استيقظ أمضى ساعتين كاملتين فى رعب حيث اعتقد أن هذه الرؤيا الغريبة قد رسخت فى ذهنه بفعل شيطان خبيث. ولم يكن حلمه التالى بمختلف عما سبق حيث سمع قصفاً مدوياً كالرعد ووجد نفسه مسجوناً فى غرفة مليئة بالنار والشرر.

الحلم الثالث :

ولحسن الطالع كان حلمه الثالث هادئاً بعض الشيء، فقد كان ينظر إلى مجموعة من الكتب بجوار فراشه، حيث كان هناك موسوعة ومجموعة مختارة من الشعر^(١).



كان ديكارت دائماً مهتماً بالرياضيات والعلوم، ولقد أوحى له آخر أحلامه أنه توجد هناك طريقة لتوحيد جميع المعارف الإنسانية: «لو استطعنا فقط أن نرى كيفية اتصال وارتباط العلوم بعضها ببعض، لوجدنا أنه من السهل الاحتفاظ بها في عقولنا أكثر من سلسلة من الأعداد».

لقد كان دائماً شديداً بالإيمان بأحلامه وما تطرحه عليه من أسئلة واقتراحات. ولقد أصبح ديكارت من أهم فلاسفة عصره وأكثرهم تأثيراً بسبب تلك الليلة الغريبة في تلك البلدة الغريبة الباردة^(٢).

(١) فأعجب ديكارت ببيت لشاعر لاتيني اتخذ بعد ذلك شعاراً لحياته في المستقبل يتساءل فيه الشاعر: «أي طريق في الحياة أتبع؟» (المترجم).

(٢) اعتبر الحلمين الأولين بمثابة إنذار نهائي ضد حياته الماضية حتى اليوم. أما الحلم الثالث فهو رسالة من روح الله أرادت أن تكشف له كنوز العلم والحكمة (المترجم).

— ديكارت يستقر فى هولنده : —

تنقل ديكارت فى جميع أرجاء أوروبا وذلك فى الفترة من ١٦١٩ إلى ١٦٢٣، ولقد ادعى أنه تعرض لمحاولة اغتيال على أيدي بعض البحارة عندما كان فى فرايسلاند ولكنه أخافهم بسيفه. وفى عام ١٦٢٣ قام بزيارة دير للعدراء فى لوريتو بإيطاليا وذلك ليفى بنذر نذره بعد تلك الأحلام الحسوية الغريبة التى رآها منذ أربع سنوات خلت. ولكن فى عام ١٦٢٨ انتقل إلى الريف الهولندى، حيث أمضى ما تبقى من عمره هناك، وقد يكون السبب أنه فضل المجتمع البروتستانتي الأكثر تسامحاً فى هولنده أكثر من بلده فرنسا. كان بإمكانى أن أعيش وحيداً منعزلاً كما لو كنت فى صحراء بعيدة غاية البعد، ففى أى بلد آخر، كان بإمكانى أن أستمتع بمثل هذه الحرية الكاملة؟!



كان بإمكانى أن أعيش وحيداً
منعزلاً كما لو كنت فى صحراء
بعيدة غاية البعد، ففى أى بلد آخر،
كان بإمكانى أن أستمتع بمثل هذه
الحرية الكاملة؟!

فى عام ١٦٣٥ أصبح ديكارت أباً، حيث كان قد أقام من قبل علاقة مع خادمته «هيلين» فى أمستردام، وفى تلك السنة جاءت الأم والطفلة لقيما مع ديكارت فى منزله الريفى بالقرب من سانتبورت Santpoort.

ومن المحزن أن ابنته «فرانسين Francin..» ماتت بالحمى القرمزية عندما كانت فى الخامسة من عمرها، ولقد أثر هذا الحدث فى ديكارت بشكل عميق، ولم يرزق بعد ذلك بأى أطفال.



لقد ألف ديكارت أكبر أعماله شهرة بينما كان فى هولنده ومنها «مقالات فلسفية» (١٦٣٧) (التي احتوت على كتابين شهيرين هما «مقال عن المنهج»^(١) «والتأملات»^(٢)) (١٦٤١) - ثم «مبادئ الفلسفة» (١٦٤٤)^(٣).

(١) ترجمه إلى اللغة العربية محمود الخضيرى، وصدرت منه الطبعة الثانية عام ١٩٦٨ عن دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (المترجم).

(٢) ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عثمان أمين، وصدرت منه الطبعة الثالثة عام ١٩٥٦ عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة. (المترجم).

(٣) ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عثمان أمين، وصدرت منه الطبعة الثانية من دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة (المترجم).

الاسكولائية Scholasticism (المدرسية) (١)

من الضروري فهم الأحوال الخاصة بالفلسفة والعلوم التي تصدى لها ديكارت في حياته، عندما وقف على مسرح الحياة العقلية في أوروبا، فقد ظلت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تسيطر على جميع الأنشطة العقلية لعدة قرون، وكان الباحثون في ذلك الوقت يقضون أوقاتهم في محاولة فهم الحكمة الخاصة بالمفكرين الكلاسيكيين القدماء مثل أرسطو (٣٢٢ - ٣٨٤ قبل الميلاد) من خلال التعاليم المسيحية، بدون محاول لاكتشاف معرفة جديدة.



(١) هي الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط وسميت بهذا الاسم لأنها كانت تدرس في مدارس ملحقة بالكنائس (المترجم).

ومن هنا كان المنظور التقليدي والمحافظ بعمق للمعرفة هو ما يُعرف عادة باسم Scholasticism (الاسكولائية أو المدرسية) وكانت الفلسفة المدرسية، أساساً، عبارة عن نسق ميافيزيقى كبير عن اللاهوت الذى يهتم بالاستنباطات المنطقية من العقائد المسيحية. وكان يطلق على ممارسيها اسم رجال المدارس (الاسكولائيين). وكانوا فلاسفة أكاديميين وهم فى العادة من رجال الدين. وكان من أكثر هؤلاء تأثيراً اللاهوتى الدومنيكانى القديس توما الأكوينى (١٢٢٥ - ١٢٧٤) والذى أصبح فيما بعد ذا سلطة لا جدال فيها على أساطين الإيمان والعقل.



الأيام الأولى للعلم :-

لم يكن التفكير المبدع الأصيل يلقي أى تشجيع، وأما الأفكار الجديدة فهي تدخل خلصة تحت ستار التعليق على النصوص القديمة. وبسبب هذا الاحترام العميق للماضى استمر الباحثون فى الإيمان بعلوم أرسطو جميعاً، بغض النظر عن مدى سخافتها وعدم مصداقيتها. فأنت تكتشف المعارف بالتنقيب فى الكتب القديمة أكثر من النظر خلال التلسكوب فإذا قال أرسطو أن بإمكان ضفدع الجبل (العلوم) أن يعيش فى الهواء لم يفكر أحد أن يتكبد عناء البحث عما إذا كان هذا الأمر صحيحاً أم لا.



ولقد كان ديكارت شغوفاً لاكتشاف طرق جديدة وأفضل للوصول إلى المعرفة
والحقيقة.

لقد كانت «المعرفة» في زمن ديكارت مزيجاً غريباً من الحقيقة والخيال، من الأسطورة والغيبيات والعقائد الدينية والتخمين الأهوج. لقد كان العلم «في عصر النهضة لا يزال يشمل علم التنجيم وعلم الخيمياء»^(١) وسيطرت عليه الأشكال النمطية والتشابهات. وكان بارسيليس (الطبيب السويسري ١٤٩٣ - ١٥٤١) الذي قام باكتشافات مهمة جديدة في العلاج الطبي لا يزال يؤمن كذلك بالسحر والتنجيم.

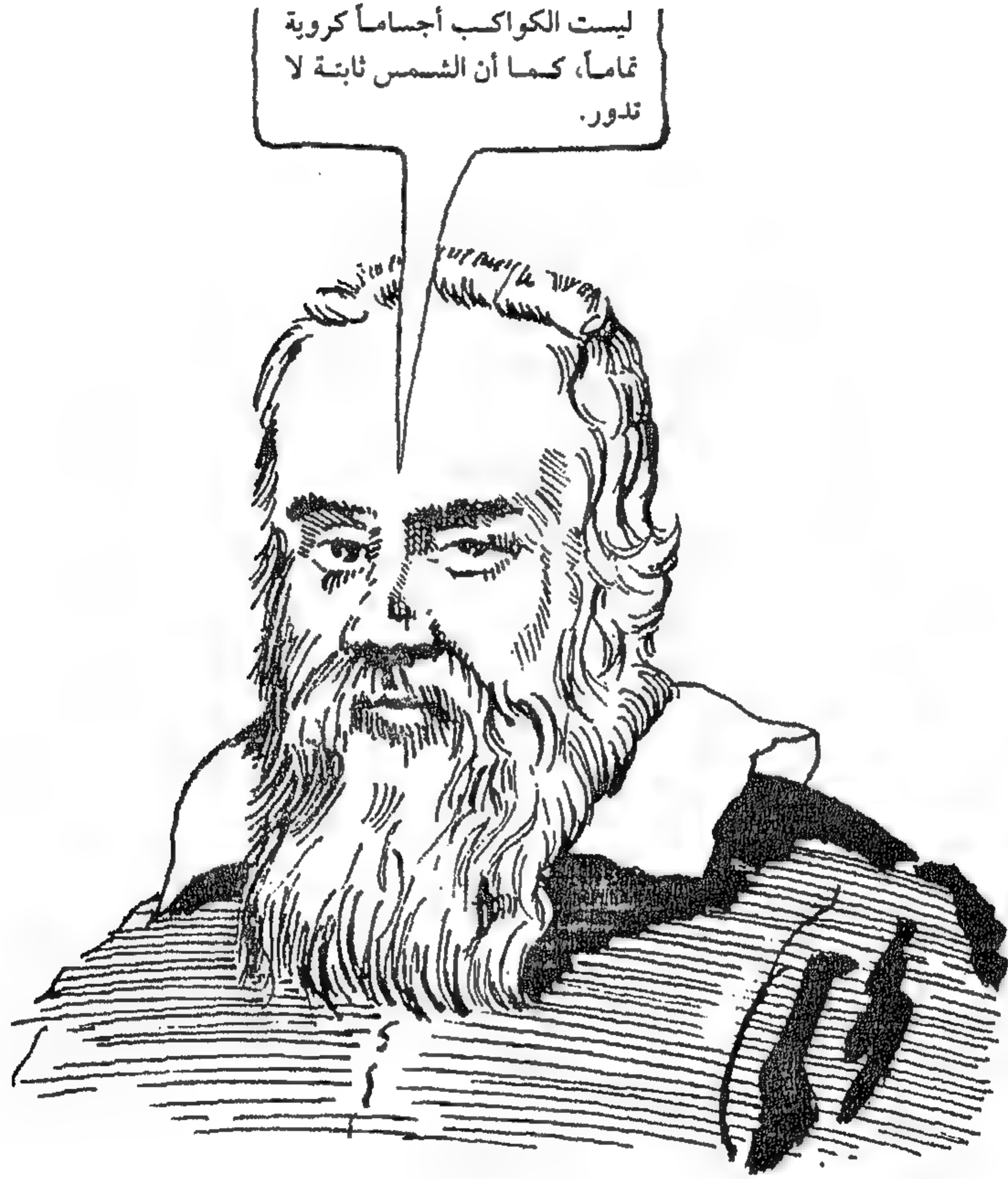


تأمل الجذر الساطيري Satyrion^(٢) ألا يشبه في شكله أعضاء الذكر؟ عندئذ يكون السحر قد اكتشف أنه قادر على حل مشكلة رجولة الرجل وانفعالاته.

(١) Alchemy الكيمياء القديمة التي استهدفت، أساساً، تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب واكتشاف علاج لجميع الأمراض (المترجم).

(٢) نسبة إلى الساطير Satyr أحد الآلهة في الأساطير اليونانية - كان يتميز بالشهوانية والشبق الجنسي (المترجم).

فى عام ١٦٢٧ قدّم جوهانس كبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠) تنبؤات دقيقة عن المدارات الأهلبيجية للكواكب. وفى انجلترا البروتستانتية كتب فرانسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) كتاباً عن القوة الجديدة والاكتشافات المثيرة التى يقدمها «المنهج العلمى». وسرعان ما اكتشف العلماء «المحدثون» من أمثال «جاليليو جاليلى» (١٥٦٤ - ١٦٤١) أن قدراً كبيراً مما قاله أرسطو لم يكن سوى لغو فارغ.



ليست الكواكب أجساماً كروية
تماماً، كما أن الشمس ثابتة لا
تدور.

وعلى الرغم من أن الكثير من هؤلاء الرجال الجدد كانوا «محدثين» فى مواقفهم فإنهم بطريقة أخرى كانوا لا يزالون من أتباع «العصر الوسيط». فلم يناقش واحد منهم أبداً مسألة وجود الله. (وكثيراً ما كان ديكرت يلجأ إلى الله دائماً بوصفه ضامناً لنظرياته الفلسفية).

كان معظم المفكرين العلميين العظام فى القرن السابع عشر مؤمنين بالمسيحية بالرغم من أنهم لم يكفوا عن التساؤل عن الحقائق الأولية التى كانت تدعمها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بغير هوادة. وفى أوروبا فى أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال من الخطورة الاعتراض على نظريات الكنيسة، فذلك يستدعى محاكم التفتيش الرهيبة.

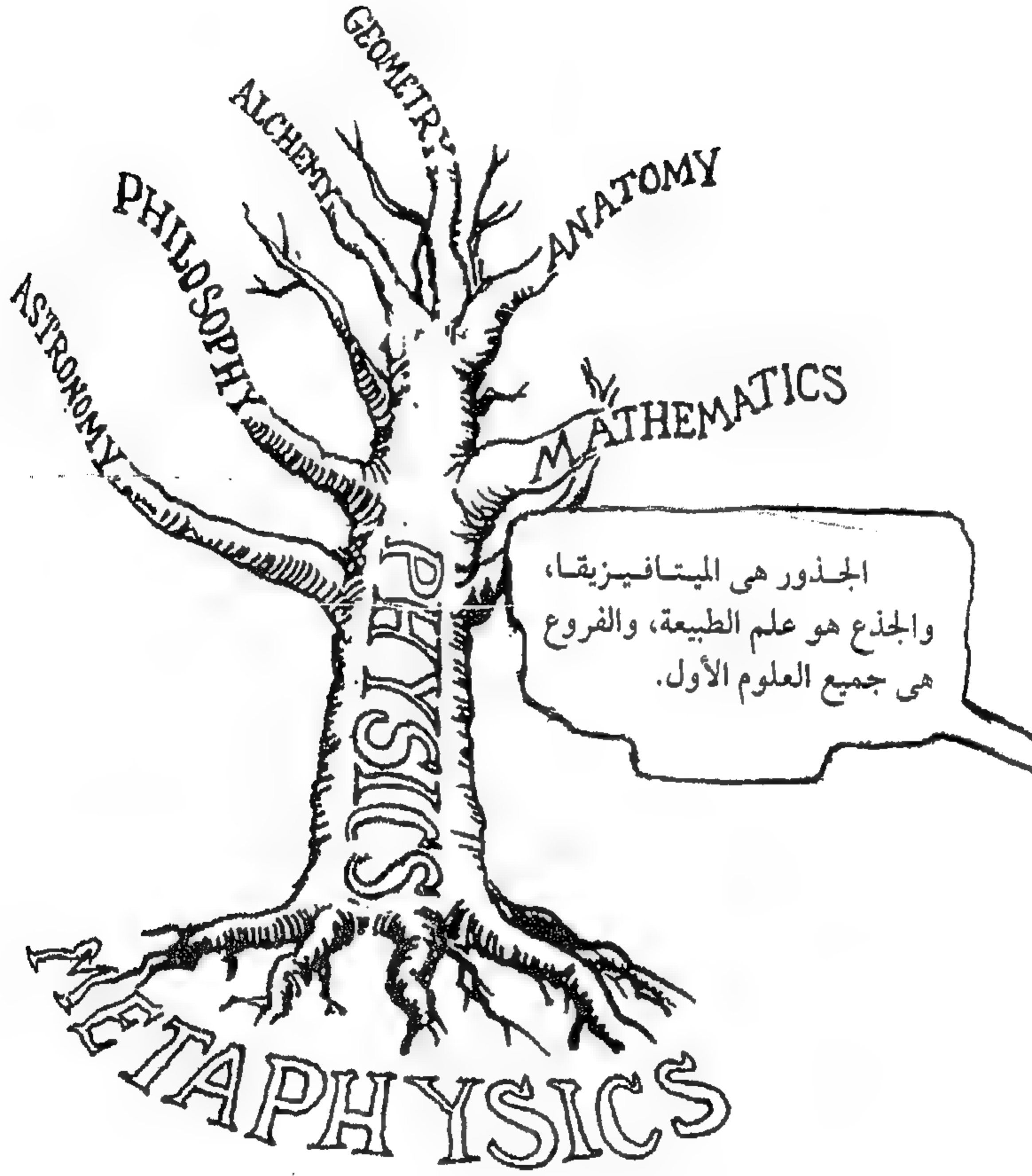
كان ديكارت فى عام ١٦٢٩ يؤلف كتاباً عن الظواهر الطبيعية أسماه (العالم) ذهب فيه إلى أن الشمس ربما كانت توجد فى مركز العالم. ولكنه فى عام ١٦٣٣ سمع عن اعتقال جاليليو فى إيطاليا بسبب اقتراحه الفكرة ذاتها، ولذلك فقد كان حكيماً فى تأجيله نشر الكتاب.



لقد أدرك ديكارت أن طريقه الجديدة فى التفكير من شأنها أن تتحدى عالم الاسكولائية الأكاديمى القوى، بل من الممكن أن تؤدى إلى إهماله بوصفه عفا عليه الزمان. ولكن كما قال (أنا أرغب فى العيش فى سلام والاستمرار فى الحياة التى بدأتها تحت شعار (ابتعد عن عيون الناس إن أردت أن تحيا سعيداً).

— ما المقصود بالعلم ؟ : —

كان ديكارت يؤمن بوجود نوع جديد من الطرق العلمية النسقية. ولقد حاول توضيح ذلك بمقارنة المعرفة بالشجرة .



كان ديكارت يتلمس الطريق نحو نوع من النشاط الإنساني المسمى حالياً بـ «العلم»، ولعل هذا هو السبب في أن بعض المفردات التي استخدمها ديكارت تثير الارتباك عند القراء المعاصرين فكلمتا «Science» وفلسفة Philosophy كثيراً ما لا يمكن التمييز بينهما، وقد تعنى جميع أنواع المعرفة التي لم نعد نطلق عليها الآن اسم «علمية»، ولم يضع ديكارت أى فروق صارمة كالتى نضعها نحن الآن بين العلم والفلسفة.

رد المعرفة إلى الرياضيات :-

كان ديكارت يأمل أن يبين أن هناك وحدة أساسية وراء جميع الفروع المختلفة للمعرفة . ولكن ما هي تلك الوحدة؟! وكان الاعتقاد الذي بدأ ينمو بين الفلكيين والعلماء هو أن الرياضيات أو الملاحظة المباشرة قد تكون هي المفتاح لفهم الكون أكثر من أرسطو أو الكتاب المقدس.



وهذه واحدة من أهم السمات الرئيسية في العلم الحديث، والمعروفة باسم «مذهب الرد» Reductionism، فهناك أنواع متعددة من الأشياء تم ردها، ومن ثم تفسيرها، على أساس عدد أقل كثيراً من السمات الأساسية أو «الطبائع البسيطة» للواقع Reality.

(١) هذا ما كان يطلق عليه ديكارت أحياناً اسم «العلم العجيب» الذي يجمع بين الرياضيات والطبيعات، وأحياناً أخرى اسم «المشروع العلمي»، وأحياناً ثالثاً اسم «الرياضيات الشاملة» التي تكشف عن الطبيعة في مجموعها ووحدتها (المترجم).

ديكارت العالم :

كان ديكارت عالماً، إلى حد ما، رغم أنه لم يكن ناجحاً أو مؤثراً جداً، إذ أن بعض علومه ما زالت ذات قيمة، فقد كان ديكارت أول من نشر القوانين الأساسية للانعكاس الضوئي (زاوية السقوط تساوي زاوية الانعكاس). ولكن الكثير من هذه القوانين تُعد الآن باللغة الغربية. لقد اعتقد ديكارت أيضاً أن كل مادة تتألف من جزيئات صغيرة قابلة للقسمة. وعنده أن كل مادة هي امتداد (من طول، وعرض، وارتفاع) ولذلك فإن وجود الفروع أو الذرات كان مستحيلاً.



ولم يكن لديه نظرية متماسكة عن الجاذبية، فإن الكون عند ديكارت كان عبارة عن دوامات أقرب ما تكون إلى دوامات المادة، وظل هذا النموذج للكون مقبولا إلى أن جاء إسحاق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) ففضى على هذه النظرية، وقد أقام ديكارت كذلك فكرة كان لها أثرها عن الصفات الأولية والثانوية.



السبب أو العلة :-

إن مساهمة ديكارت فى العلوم الطبيعية كانت نظرية أكثر منها عملية، فقد ساعد فى تغيير الطريقة التى كان يفكر بواسطتها العلماء فيما يتعلق «بالسبب» أو العلة. لقد كان العلم الاسكولائى يذهب إلى أن لكل شىء سبباً غائياً يفسر كيف، ولماذا، تسلك الأشياء على هذا النحو.

ويقول الدكتور سبتىوس: أحد الباحثين الأرسطيين ١٢٧٣ - ١٣٠٨ كل شىء فى هذا الكون يتجه نحو وجهة غائية نهائية، ووظيفة العالم هنا هى اكتشاف ما هى هذه الغاية.



كانت وجهة نظر أرسطو فى الكون حيوية Animistic فالمغناطيس يجذب الحديد بسبب خواصه المغناطيسية. ولم يكن ديكارت مقتنعاً أو راضياً عن هذه التفسيرات الدائرية غير المقنعة، فالكون من وجهة نظره رياضى، وميكانيكى (آلى) وبالتالي يمكن التنبؤ به.

مقال عن المنهج :-

كانت مقالات ديكارت فى عام ١٦٣٧ عن البصريات، والآثار العلوية، والهندسة. وكانت هذه المقالات عبارة عن مقدمة لمقالات هى الآن أكثر أهمية وهى (بحث علمى عن طرق التوجيه الصحيح للعقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم) (وهذا يعتبر تطويراً لأعمال سابقة لم تنشر) وهى قواعد لتوجيه العقل التى كُتبت عام ١٦٢٨ .

كان ديكارت يعتقد أن هناك طريقة من شأنها أن تُنظّم البحث الإنسانى للمعرفة حتى يصبح أكثر نسقية ونجاحاً. لقد تضمن كتابه «مقال عن المنهج» جميع: «القواعد لتوجيه الذهن» التى نحتاج إلى اتباعها فى البحث العلمى، إذا أريد له أن يكون أكثر من مجرد خليط عشوائى من الحدس والتخمين. ومن هنا حاول ديكارت فى هذا الكتاب أن يبين كيف يكون من الممكن اكتشاف المعرفة الحقيقية فقط باتباع بعض القواعد الرئيسية.

واعتقد ديكارت أن هذه القواعد يمكن أن تكون الأساس لنوع جديد من المنطق العلمى.



قواعد المنهج عند ديكارت

واضح أمام العقل :

من القواعد التى كان ديكارت يؤكد بها باستمرار هى أن الأفكار الصحيحة يجب أن تكون «واضحة ومتميزة»، ويقصد بكلمة «واضحة» أن تكون الأفكار أمام العقل بمثل وضوح المواد المحسوسة التى نراها بالعين المجردة.



ويكون لهذا النوع من الوضوح العقلى المرنى معنى عندما نشتغل بالهندسة أو الرياضيات، فنحن نرى الأعداد الحسابية والأشكال الهندسية فى أذهاننا ولا يختلط الواحد منها بالآخر. وإذا تمكنا بشكل سليم من فهم ما نفعله فإن الرياضيات أو الهندسة ستكون صحيحة.

ما المقصود بالفكرة الواضحة :

لكن إذا طبقنا «قاعدة الوضوح» هذه على أنواع أخرى من المعرفة، فإن الأمر يبدو غامضاً ملتبساً وأقل نفعاً، فقد تكون لدينا أفكار واضحة ومتميزة عن جميع الأنواع من الأشياء - مثل أن الأرض مسطحة ، وأن الشمس تدور - غير أن ذلك لا يضمن أن نكون على صواب. فالمشكلة المتعلقة بكثير من الحقائق العلمية كثيراً ما تكون مضادة للبديهيات. وهذا معناه أن العلم كثيراً ما يسير عكس الاستنتاجات أو الحدوس المستمدة من الحس المشترك.



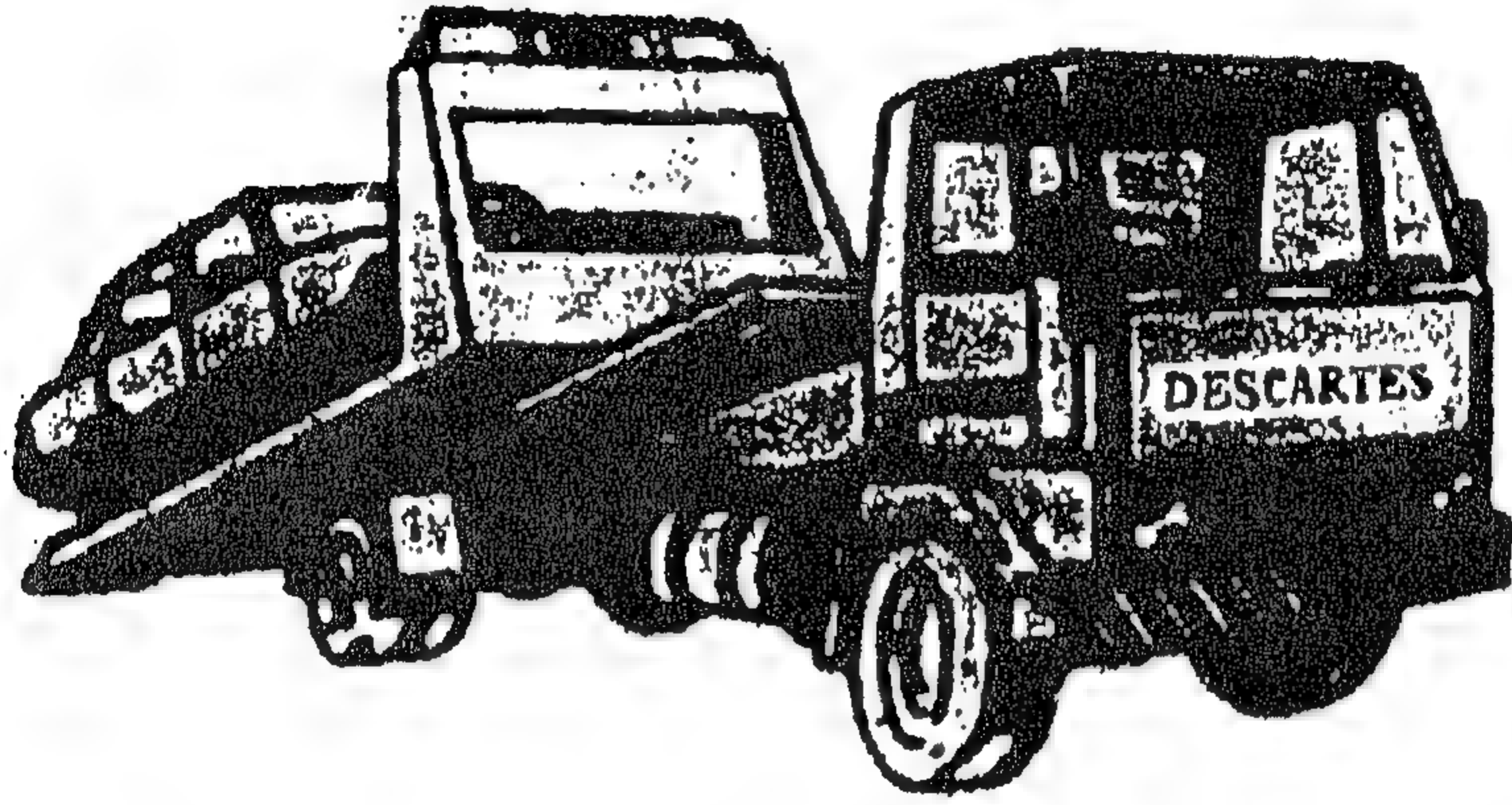
ويبدو أن ديكارت كان يعتقد أن المعرفة العلمية هي بالأحرى أشبه ببديهات الهندسة واستنتاجاتها. والمشكلة هي أن النظريات العلمية كثيراً ما تستمد من ملاحظة بعض الأنواع، وبالتالي فهي مؤقتة أكثر من غيرها. فإذا ادعى شخص أن جميع الضفادع برمائية (تعيش في البر والماء)، فإن ذلك يرجع إلى معرفتنا الموجودة عن الضفادع وعن سلوك البرمائيات، وهما معاً تصوران يعتمدان في النهاية على ملاحظتنا للضفادع.



كان ديكارت يعتقد أن بنية العالم أساساً رياضية، ويمكن في النهاية دراستها وفهمها على هذا الأساس.

الضرورة المنطقية والضرورة السببية :-

كذلك لم يكن ديكارت واضحاً في ذهنه تماماً التفرقة بين الضرورة المنطقية والضرورة السببية، فإذا قلتُ أن $2 + 2$ من المحتم أن يكون مجموعهما ٤، فإن هذه الحتمية منطقية، أما إذا تحطمت سيارتك وقلت أنه لا بد أن يكون هناك سبب لذلك، فإن هذه الحتمية مبنية على تجاربك السابقة بالسيارات. ولهذا فإن هذه الحتمية سيكولوجية أكثر منها منطقية. وهذا اللبس أدَّى بديكارت إلى الاعتقاد بأنك يمكن أن تكون لديك معرفة هندسية خالصة، وبالتالي معرفة ضرورية عن هذا العالم المادي.



المبادئ الوحيدة التي نستخدمها هي تلك التي نراها واضحة بذاتها، فإذا لم نستدل منها على شيء إلا بواسطة الاستنباط الرياضي، وإذا ما اتفقت جميع هذه الاستدلالات بدقة مع الظواهر الطبيعية، عندئذ ينبغي علينا، فيما نعتقد، أننا نكون مخطئين بحق الله إذا ما ارتبنا في هذا الكشف واعتبرنا الأسباب وهمٌ وضلال.

هل تستطيع أن تعرف شمع العسل؟ : -

لم يعتقد ديكارت أن الملاحظة مضیعة تامة للوقت، ففحص العالم عملية مفيدة - لكن فقط للتأكد من أن النماذج الرياضية سليمة.

لقد ذهب ديكارت في إحدى الفقرات^(١) إلى أنه ليس بالإمكان في الواقع، أن نعرف ما هو «شمع العسل» عن طريق الحواس وحدها؛ فأنت عندما تنظر إلى هذا الشمع تجده أحياناً جامداً وأحياناً أخرى سائلاً.

يقول:

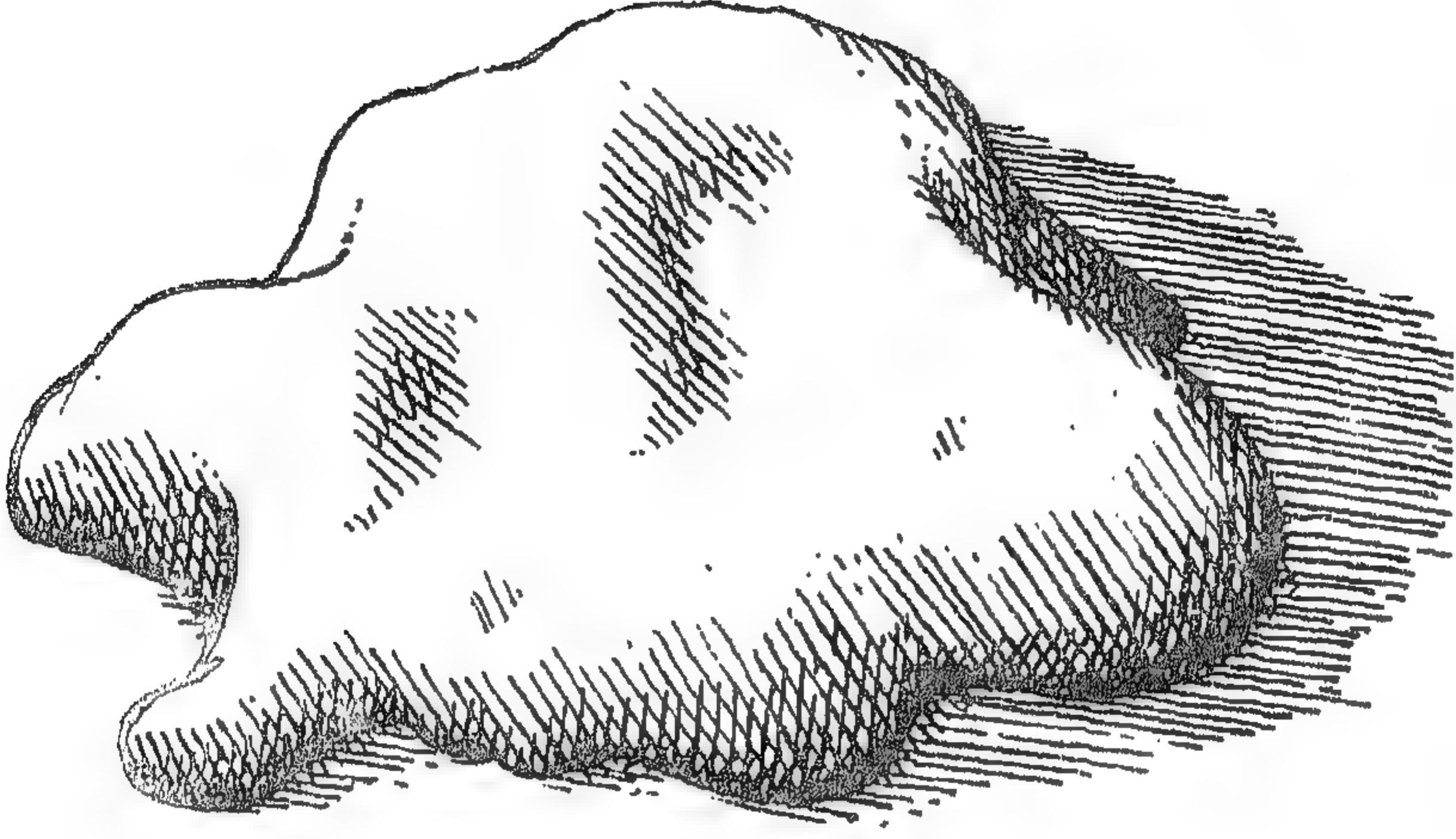
«... لنأخذ مثلاً هذه القطعة من شمع العسل، لقد أخذت لتوها من الخلية، فلم تذهب عنها بعد حلاوة العسل الذي كان فيها. وما زالت بها بقية من أريج الزهور التي اقتطفت منها، لونها وحجمها وشكلها أشياء ظاهرة للعيان. وهي جامدة وباردة ويسهل عليك أن تتناولها باليد، وإذا نقرت عليها خرج منها صوت، وعلى الجملة نجد فيها جميع الأشياء التي تجعلنا نعرف الجسم معرفة متميزة...»^(٢).



(١) من كتابه «التأملات في الفلسفة الأولى» فقرة رقم ١٣ من التأمل الثاني (المترجم).

(٢) «التأملات في الفلسفة الأولى» ترجمة د. عثمان أمين ص ١٠٤ من الطبعة الثانية عام ١٩٥٩ (المترجم).

«ولكن ها هي ذي قد اقتربت من النار وأنا أتكلم، فماذا أشاهد؟ تتلاشى بقية طعمها وتذهب رائحتها، ويتغير لونها، ويذهب شكلها ويزيد حجمها، وتصبح من السوائل. وتسخن حتى يكاد يصعب لمسها ومهما تنقر عليها فلن ينبعث منها صوت أما تزال الشمعة باقية بعد هذه التغيرات! لا بد من التسليم بإنها باقية..»^(١).



ثم يسأل ديكارت بعد ذلك سؤالاً غريباً هو: كيف نعرف أنها هي نفسها قطعة الشمع...؟ لا يمكن أن يحدث ذلك عن طريق الحواس التي تعطينا معلومات مغايرة. وهذا يعني «أنني أعرف طبيعة هذه القطعة من الشمع لا عن طريق الخيال، بل عن طريق الإدراك العقلي الخالص،... إنني الآن أعرف أنه حتى الأجسام، لا أدركها عن طريق الحواس، ولا ملكة الخيال، بل عن طريق العقل وحده..».

وقد يبدو غريباً إلى حد ما أن نقول: إن أحد أسباب هذه النظرة هو أن ديكارت يوصف بأنه فيلسوف عقلاني Rationalist.

(١) المصدر السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ (المترجم).

العقليون والتجريبيون : -

هناك ميل إلى تصنيف فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى عقليين أو تجريبيين. ويعتقد العقليون أن نوع المعرفة الوحيد الذي يمكن أن نثق به هو الذي يأتي عن طريق العقل الخالص. وهم - في العادة - متحمسون للأنشطة العقلية الخالصة مثل الرياضيات والمنطق، ويتقنون المعرفة التي نحصل عليها عن طريق أعضائنا الحسية غير الموثوق بها، ولا توجد عندهم تلك المعرفة التي تنتمي إلى الحواس دون العقل.



سوف يجد العقليون باستمرار مشكلة في إفساح المجال لأية معرفة عما هو العالم في حقيقته، تتعارض مع الضرورة، والادعاءات الأكثر غلواً المستمدة من الرياضيات والمنطق.

ولا يوافق الفلاسفة التجريبيون على ذلك، فهم يعتقدون أننا لا نستطيع أن نعرف العالم الخارجي إلا عن طريق حواسنا، إننا لا نعرف ما هي قطعة الشمع إلا برؤيتها، وليس بالتفكير فيها؛ فبعد استخدامنا لحواسنا نستطيع أن نشكل تصورات عن نوع الأشياء التي كنا ننظر إليها.



ويبدو أن المجادلات المملة بين العقلين والتجريبيين أصبحت في يومنا الراهن عقيمة ومجذبة، كما أصبح ادعاء ديكارت بأن هناك نوعاً واحداً فقط من النشاط العقلي، هو الذي له قيمة، ادعاءً دجماطيقياً أكثر مما ينبغي. ويبدو أن الأدنى إلى الصواب أن نقول: إن إدراكنا الحسي واستدلالنا يعملان معاً في ترادف ليشكلا مساراً متفاعلاً لإنتاج المعرفة. غير أن نظريات ديكارت عن قطعة الشمع ليست هي التي جعلت منه فيلسوفاً مهماً، فهو معروف بشكل أكثر شعبية بأنه الرجل الذي يقول: إنه يستحيل معرفة أي شيء على الإطلاق - وهذا ما سوف تناقشه في القسم التالي.

تاريخ موجز عن مذهب الشك :-

منذ أن بدأت الموجودات البشرية في التحضر وطرح الأسئلة، كان هناك أشخاص مشيرون يطلق عليهم اسم «الشكاك Sceptics» يعتقدون أن البشر ليس في استطاعتهم أن يعرفوا أبداً أي شيء معرفة يقينية. فذهب هيراقليطس (حوالي ٥٠٠ ق.م) إلى أنه لا يمكن معرفة العالم تماماً لأنه دائم التغير.



أما أقراطليوس (٤٠٠ ق.م) فقد كان أكثر تطرفاً. فقد قال:



كان أقراطليوس شاكاً للغاية في الكلمات، فاعتقد أن معناها يتغير في نفس اللحظة التي تخرج من أفواهنا لتصل إلى أسماع الآخرين، ولهذا بدلاً من الكلام كان يكتفي بتحريك إصبعه.

البيرونيون : -

أول الشكاك العظام كان يطلق عليهم «البيرونيون» نسبة إلى بيرون Pyrrho الذي ولد بمدينة اليس Elis (حوالي ٣٦٠ - ٢٧٢ ق.م) ولقد كانوا اثنين تعلموا في أكاديمية أفلاطون في القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد. وكان المفكر الروماني المتأخر «سكستوس امبريقوس» (٢٠٠ بعد الميلاد) - أشهر الشكاك والمتحدث باسمهم ونظراً لأنه أصدر كتاباً محدداً يعرض أفكارهم وحججهم. ولقد كانت الحجة الكبرى للبيرونيين حجة أخلاقية بالدرجة الأولى.



ولقد شرح سكستوس الحججتين البرونيتين الرئيسيتين اللتان تبنيان لماذا تكون المعرفة الحقيقية مستحيلة دائماً.

الحجج البيرونية : -

جميع الظواهر خداعة ومضللة ومن ثم فهي نسبية. وهذا يعني أن وجهات النظر المختلفة عند الناس لا بد أن تتصارع بصفة مستمرة. فالحيوانات المختلفة ترى العالم بطرق مختلفة. ولا يوجد مبرر واحد للاعتقاد بأن الطريقة البشرية المنفردة لرؤية العالم هي الطريقة الصحيحة. وفضلاً عن ذلك فالموجودات البشرية ترى العالم بطرق مختلفة تبعاً لمن هو الشخص الذي يرى وأين يوجد.

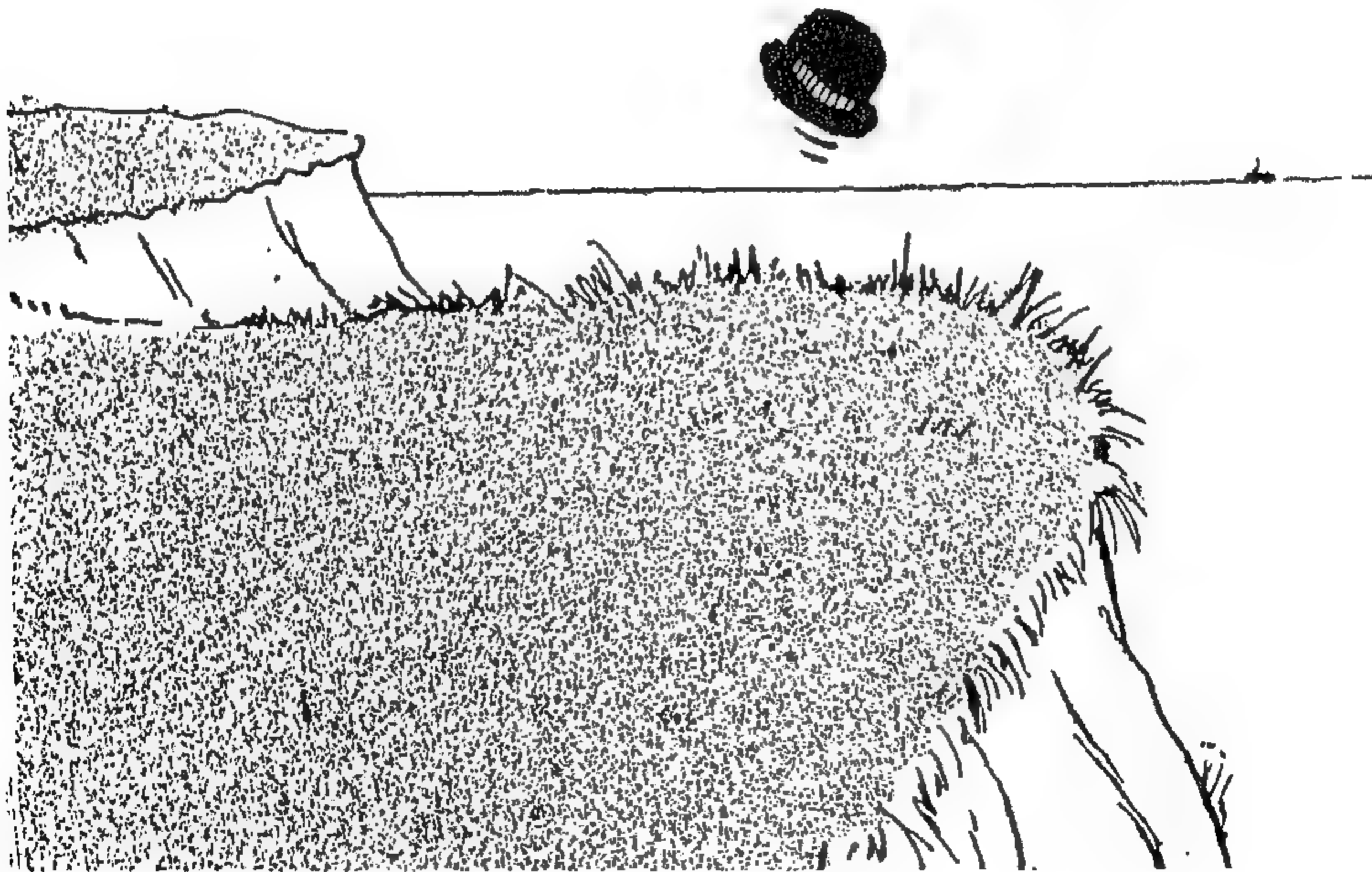


فهل السفينة كبيرة أم صغيرة؟ كيف يمكن لنا أن نعرف أي الرجلين أكثر صواباً؟ إن كل ما نستطيع أن نعرفه فعلاً هو أننا جهلاء.

والحجة الأخرى أكثر صعوبة وهي: أننا إذا ما قبلنا شيئاً ذات مرة على أنه معرفة فإن علينا عندئذ أن نعثر على برهان أو ضمان لهذا المعرفة، وهذا البرهان نفسه يحتاج إلى نوع ما من الضمان أو البرهان.. وهكذا إلى ما لا نهاية.



وإحدى المشكلات الواضحة عند الشكّك هي أنه إذا لم يكن هناك معرفة، فكيف يدعون هم أنفسهم أن كل معرفة فهي وهم؟ والفيلسوف البيروني الذي يقول أنه كان أكثر سعادة بدون اعتقادات، فإنه بذلك يخدع نفسه: تخيل أن هذا الشاك يجلس على حافة جسر ملوّحاً للسفينة الصغيرة عبر الأفق، فهو إذا لم يكن لديه أية اعتقادات على الإطلاق، حول وزن الجسم والجاذبية والأماكن الخطرة تسقط من فوق الجسر فلا بد له أن يكون سعيداً لفترة أطول.



سكستوس والشكك الآخرون : -

كان سكستوس أمبريقوس طبيباً أيضاً، ولا بد أنه كان سيندهش من علم الطب الحديث. كما كان برجماتياً وشاكاً غير معتدل. كما كان يعتقد أنه لا بد للأطباء أن يقودهم الانطباعات الأولى والتجارب الماضية.



غير أن البيرونيين لم يشكوا أبداً في أن العالم المادي موجود بالفعل.



أحد آباء الكنيسة في بداية العصور الوسطى القديس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠).



أحد الاسكولائيين في بداية عصر النهضة ارازموس (٤٦٦ - ١٥٣٦)



ميشيل دي مونتني (١٥٣٣ - ١٥٩٢).

غير أن ديكارت كان أشد راديكالية من هؤلاء جميعاً. ففي كتابه «التأملات في الفلسفة الأولى» عام ١٦٤١ - استخدم الشك بقوة وتشكك في كل شيء بغير هوادة - حتى يقين الرياضيات وكذلك وجود العالم المادي.



بدأ ديكارت يكتب كتابه «التأملات» عام ١٦٣٩ حيث كان يعيش حياة شبه منعزلة في هولنده لمدة عشر سنوات. وهذا هو الكتاب الذي حقق له الشهرة في النهاية، فأصبح أحد الفلاسفة المؤثرين في القرن السابع عشر. والكتاب عبارة عن تسجيل يوميات حية لأفكاره على شكل ستة تأملات، من المفترض أن كل تأمل استغرق يوماً كاملاً.

الشك الديكارتى : -

كانت سمة مذهب الشك عند ديكارت فريدة لدرجة أنه يسمى في العادة «بالشك الديكارتى» كما أنه كان كذلك شكاً نسقياً هو أشبه «بالمتهج» من إعلان عن تقوى دينية.



لقد تبين أن من الضروري - أن
أقوض تماماً كل شيء وأن أبدأ بداية
صحيحة بوضع الأسس إذا أردت أن
أقيم أى شيء فى العلوم على الإطلاق
يكون وطبداً مستقراً ويمكن أن
بدوم (١)

(١) قارن «التأملات» - التأمل الأول ص ٧١ من ترجمة الدكتور عثمان أمين من الطبعة الثانية عام ١٩٥٩ (المترجم).

وفي خطاب أرسله إلى أحد أصدقائه يوضح له فيه منهجه الخاص في الشك كتب ديكارت يقول: -

«تخيل أن لديك مجموعة من التفاح تريد حفظها في سلّة. إن الرجل الحكيم لابد أن يتأكد أن جميع التفاح سليم. إذ لو كانت إحدى التفاحات معطوبة فاسدة، فسوف تُفسد في النهاية جميع التفاحات الأخرى. ومن ثم فإن أي تفاحة يكون فيها أدنى شائبة. لابد من استبعادها بلا هوادة على أنها لا تصلح». وهذا هو بالضبط ما يفعله الشك الديكارتى..



ومن الواضح أن «تفاحة» المعرفة التي تبقى في نهاية هذه العملية سوف تكون متميزة للغاية. وستكون من الشيء الحقيقي المضمون وهو المعرفة التي لا يمكن الشك فيها.

كيف نشك في كل شيء؟

سرعان ما تبين لديكارت أن الشك النسقي في كل جزء من أجزاء المعرفة عمل مستحيل، فإن عليه تكرار ومراجعة كل التجارب العلمية التي أجريت حتى الآن، وكذلك اختبار جميع الاستنباطات الرياضية التي تمت. وأن يزور جميع أنحاء العالم وأن يقرأ كل الكتب التي كُتبت... وهكذا.



إن معرفتنا بالأشياء المادية تأتي عن طريق الحواس الخمس، بينما معرفة أمور كالرياضيات والمنطق تأتي عن طريق العقل، فاختصر ديكارت الطريق وتساءل عما إذا كان يمكن الشك في هذه المصادر الأساسية نفسها.

الرؤية ليست هي الاعتقاد :-

يؤكد ديكارت أنه كثيراً ما لا يمكن الثقة في الأعضاء الحسية البشرية كمصادر للمعرفة الحقة. وعلى الرغم من أنه لم يشك أبداً في أن لدينا تجارب حسية، وليس لدينا طريقة لمعرفة أسبابها معرفة يقينية. فقد تسير مثلاً في مستنقع، وخلال الضباب، ترى رجلاً من بعد .



فحواسك قد كذبت عليك.



والمشكلة أنك لا تملك طريقة من طرق المعرفة موثوق فيها تحدد بواسطتها أي حاسة من الحاستين (اللمس أو الإبصار) هي الحاسة الصحيحة. ولم يذهب ديكارت إلى أن حواسنا باستمرار لا يمكن أبداً الثقة بها، فربما قدّمت لنا معلوماتنا الحسية بصورة تقريبية عامة ما الذي يوجد في العالم الخارجي، ولعل هذا هو السبب في أننا بقينا على قيد الحياة فترة طويلة كنوع بشري.

غير أن المعلومات التي تأتيها عن طريق الحواس يمكن الشك فيها، ولهذا لا بد من استبعادها من سلة التفاح؛ فليس من الحكمة أن نطمئن إلى مَنْ خدعونا ولو مرة واحدة. وهكذا تصبح المعرفة الآتية عن طريق الحواس موضع ريبة.

الحلم :-

لا يقضي معظمنا وقتاً طويلاً في تأمل السراب في الصحراء، أو مصاباً بالدوار بسبب الخداع البصري. ولو أنك أمسكت بالقلم في يدك ونظرت إلى الصفحة في ضوء النهار «وفي أفضل الظروف»، فكيف يمكن لك في هذه الحالة أن تكون على يقين أن المعلومات التي أتت إليك عن طريق الحواس صحيحة أو موثوق بها..؟ كيف يمكن لك أن تكون على يقين من أنك تمسك قلماً وليس شيئاً آخر..؟ إن حجة ديكارت الثانية ضد شهادة الحواس يطلق عليها في العادة اسم «حجة الأحلام».

ببساطة شديدة يمكن أن تكون في حالة حلم، فتحلم أنك تمسك قلماً، وحقيقة الأمر أنك نائم في فراشك، وتحلم أنك تمسك بالقلم..

It's quite simple: you might be dreaming that you are holding a pen. The actual truth is that you are asleep in bed and you are having an odd kind of pen-holding dream.



ربما لا يخطر بذهنك أن الأمر على هذا النحو، لكن هل يمكن لك أن تثبت أنه ليس كذلك..؟ يعتقد ديكارت أنك لا تستطيع أن تثبت ذلك. ليس هناك اختبار واحد واضح يبلغ من المعرفة والوضوح أن يشير إلى نوع الحالة الذهنية التي تخبرها في وقت معين. بل حتى ليس في استطاعتك أن تبرهن على أنك لا تحلم. وإذن فحتى التجارب القريبة التي تمر بها يمكن الشك فيها، وبالتالي لا بد من حذفها من السلة.

العقليون والعقل :-

نحن نعرف أن ديكارت فيلسوف عقلي يؤمن بأن المعرفة الموثوق بها لا بد أن تأتي عن طريق العقل، لا عن طريق حواسنا البشرية المشكوك في أمرها. ومن ثم فإن هجومه على الثقة في الحواس لا يدهشنا إلا قليلاً. لقد كان لدى أفلاطون (٤٢٨ - ٣٤٧ ق.م) أفكار مماثلة منذ ألفين خلت من السنين، فذهب إلى أن المعرفة الوحيدة هي التي تأتي عن طريق العقل وهي التي يمكن أن تكون موضع ثقة واستقرار.



اثنان واثنان لا بد أن يكون مجموعهما أربعة. ومن ثم فربما كان هذا النوع من المعرفة العقلية لا يمكن الشك فيه، وربما كان محصناً من تقويض الشك الديكارتي.

الشيطان الخفي : -

لكن ديكارت لا يوافق على ذلك. فحتى الرياضيات والمنطق يمكن الشك فيهما، وهو يذكرنا أننا جميعاً في العادة نرتكب أخطاء في الرياضيات. فكيف يمكن لنا أن نعرف أننا لا نقترف أخطاء كل الوقت؟



ولذلك فإن ديكارت يذهب إلى أن الجنس البشري ربما ارتكب - طوال التاريخ - أخطاء في الرياضيات. وربما كان ابتكار هذا الشيطان الخفي العجيب يمثل لحظة الشك الأخيرة اليايسة التي قام بها ديكارت. لكن المهم أنه حتى هذه المعرفة «المجردة» التي تأتي عن طريق العقل موضع شك أيضاً.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد شخص عاقل يمكن أن يفترض وجود مثل هذا الشيطان العجيب، فإن أحداً لا يستطيع أن يبرهن على عدم وجوده.

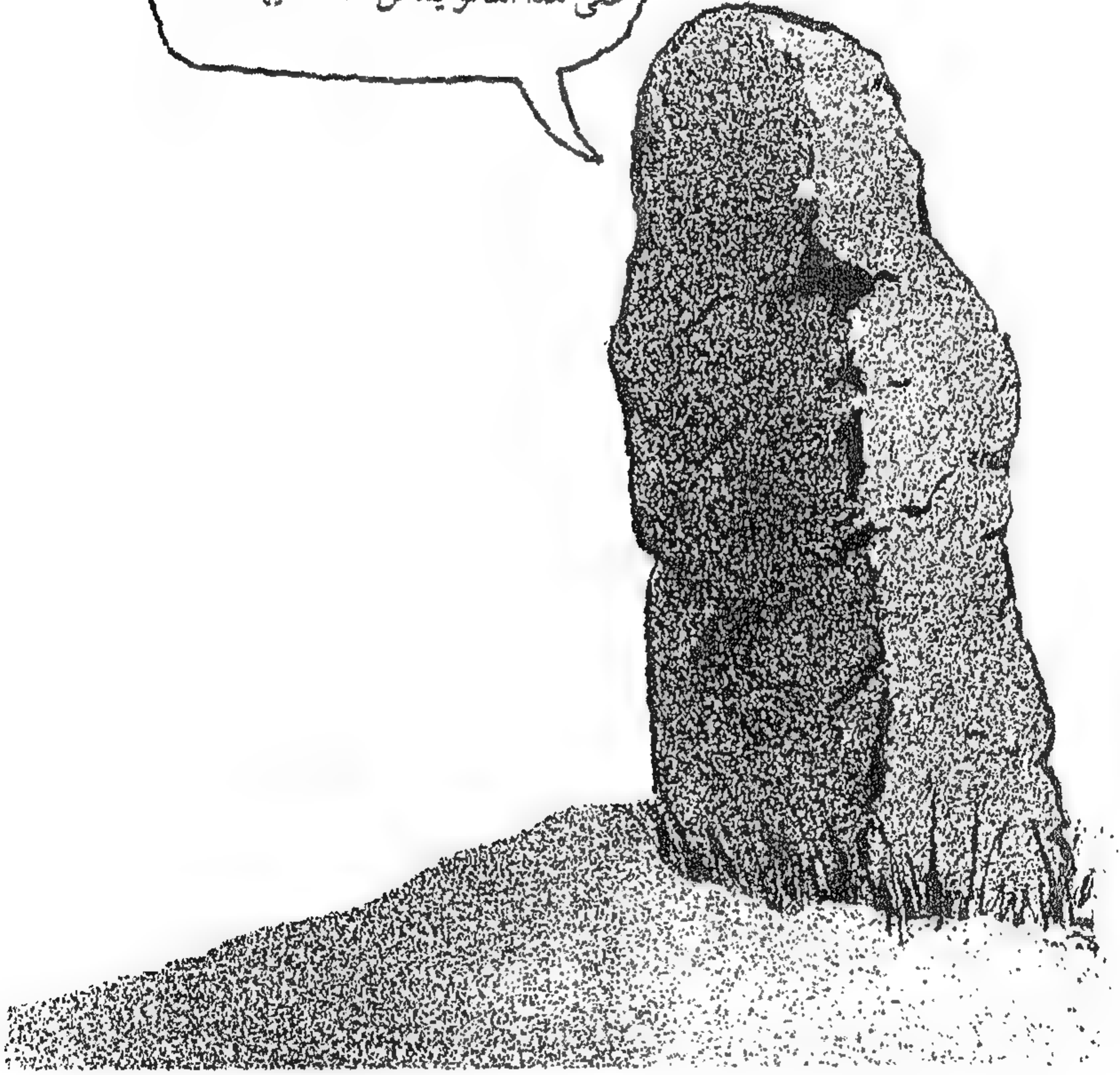


وتتضمن النسخ الحديثة من حجة الشيطان الخفي مجموعة من قصص الرعب عن عقول وضعت في آنية فخارية تستثيرها أسلاك كهربائية أو يجذبها خيوط بشرية بصفة دائمة كما هي الحال في آلات العصر الفكتوري. ولو كانت حواسك باستمرار يمكن إثارتها إلكترونياً لتحدث سلسلة كاملة من الخبرات البديلة في ذهنك، أو تجعلك تعتقد في رياضيات عجيبة - فكيف يمكن لك أن تعرف ذلك؟.

هل يمكن لحواسنا أن تكذب علينا ؟

وتبدو حجج ديكارت مقنعة للغاية لكنها لم تكن على الدوام مقبولة تماماً. فنحن لا نعرف أن حواسنا تكذب علينا إلا لأنها في النهاية تكشف عن الحقيقة. فنحن في نهاية المطاف نعرف أننا كنا نتحدث إلى عمود من الصخر وليس إلى إنسان، لأن أعيننا تخبرنا بذلك. غير أن ذلك لا يبطل حجة ديكارت.

لا نزل نتلقى من حواسنا رسائل متضاربة، لكن المعلومات التي تصلنا على هذا النحو يمكن الشك فيها.



ومع ذلك فنحن أمام حجة أشد عجباً مما قاله ديكارت، وفي استطاعتك أن تقول ليست حواسنا هي التي تكذب علينا وإنما تفسيرنا للمعلومات التي تقدمها لنا. فنحن نتوسط هذه المعلومات الحسية، فنحن نرى شكلاً طويلاً رمادي اللون فنستنتج عندئذ أنه رجل، فحاسة البصر لم تكذب علينا، لكن ما حدث هو سوء تفسير.

هل نحن في حالة يقظة أم لا؟

لكن أليس من الصواب أن نقول: إن المستحيل التفرقة بين خبرتنا للنوم واليقظة؟ ومن المحتمل أن ديكارت كان جاداً تماماً في هذه الحجة. فكثيراً ما كانت أحلامه الخاصة باللغة الوضوح والحيوية. وكثيراً ما كان يأخذها مأخذ الجد. لكن لا بد أن يقول كثير من الناس أن تجربتنا في الأحلام يمكن التمييز بينها - بوضوح - وبين تجارب اليقظة .



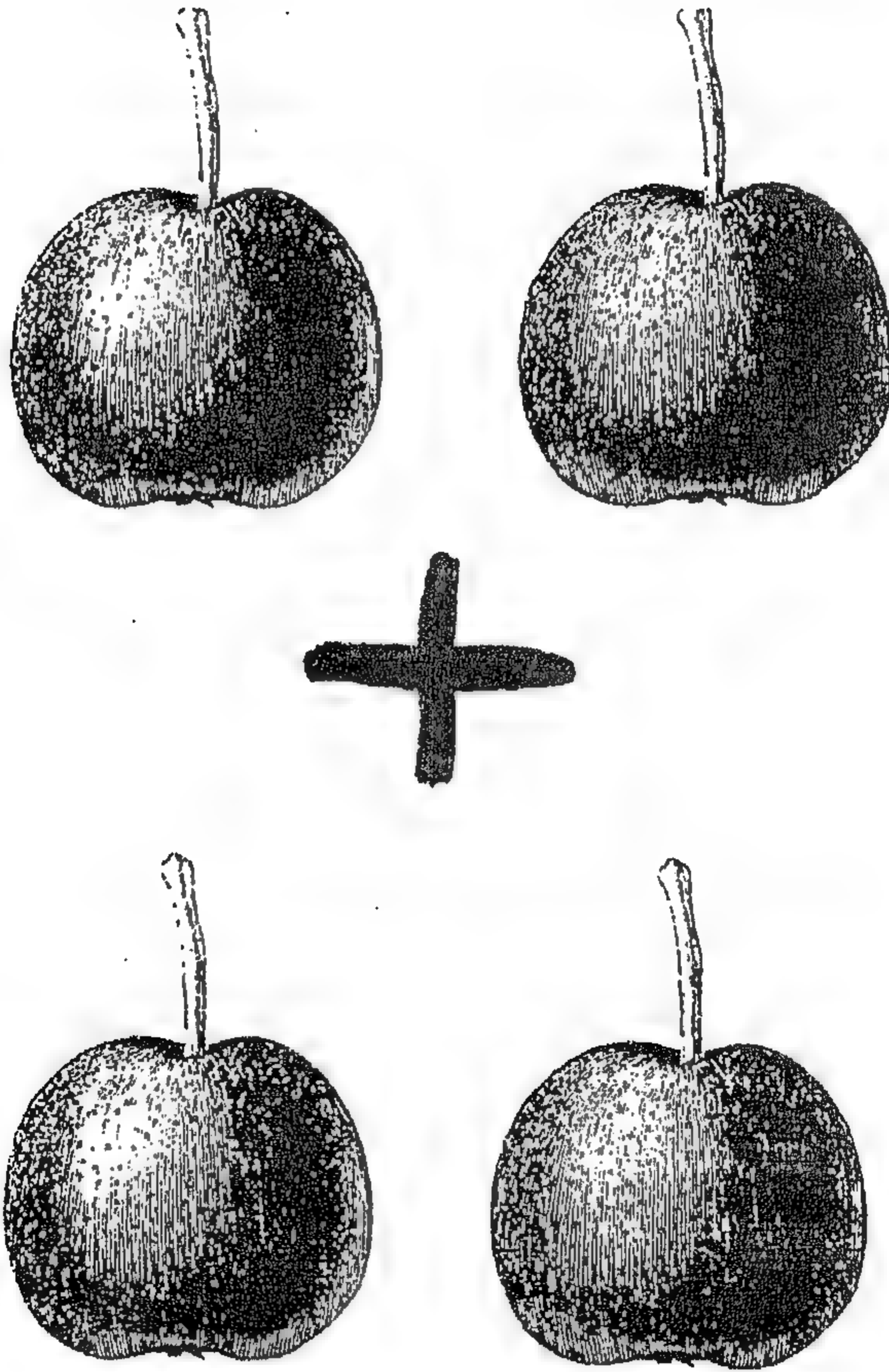
قد لا يكون هناك مقياس واحد واضح تقاس به الأحلام، لكن من المحتمل أن تكون هناك بدائل مؤثرات جيدة جداً عن قائمة بالمراجع.

لقد ذهب بعض الفلاسفة أيضاً إلى أنه ليس من الممكن الشك فيما إذا كنت نائماً حقاً عندما تكون نائماً بالفعل، ومن ثم فهناك شيء غير متماسك في حجة ديكارت. وهناك فلاسفة آخرون وبعض علماء النفس لا يوافقون - فهم يعتقدون أنك تستطيع الشك في أحلامك .



الشياطين الخفية : -

والآن: ماذا نقول فى أمر «الشيطان الخفى»؟ هنا يؤكد ديكارت فيما يبدو مخاوفه من الشك. فربما كنا باستمرار فى حالة هذيان، وربما كانت حواسنا خاضعة لسيطرة شيطان خبيث خفى (مشغول إلى أقصى حد). لكن هل نستطيع جادين، أن نؤمن بأن الرياضيات هى خطأ من الناحية النسقية؟ إذا كانت $2 + 2$ تساوى حقاً ٥ أو ٣ وليس أربعة، فكيف يمكن أن تكون هناك رياضة على الإطلاق؟ هذه الحجة ضد المعرفة العقلية تبدو أقل إقناعاً.



استحالة "اللغة الخاصة" :-

هناك شيء بالغ الغرابة أيضاً بالنسبة لهذا الشك الديكارتي الشامل. فديكارت يفترض باستمرار أنه توجد أفكار خاصة تماماً ومستقلة عن العالم من حوله.



لكن ما الذي كان يفكر فيه؟ إن أفكاره تتألف من كلمات إما فرنسية أو لاتينية. وهذه الكلمات هي أجزاء من لغة لها مجموعة من قواعد النحو، ولها معان متعارف عليها، ومن خلفها مركب كامل من التاريخ والثقافة ولا يمكن الشك في أي من التاريخ الثقافي أو التاريخ اللغوي.

إن امتلاك أفكار شكّية خاصة في رأس شكى خاص هو مشكلة أشد صعوبة مما تبدو، أن ديكارت يزعم أيضاً أنه مدرك للحالات الذهنية «للمعرفة»، و«الشك» و«اليقين» وما إلى ذلك. ومن ثم فإن أى فيلسوف يزعم أن شكه شامل فإنه يبرز حقاً قدرأ من النصب. وهو ما أدركه ديكارت في وقت مبكر.



لقد تعاملت فقط مع نوع من
الشك الأقصى وهو شك ميتافيزيقي
مبالغ فيه.

ويعترف ديكارت باستمرار أنه يقوم بنوع خاص من اللعبة الفلسفية، وهو مجرد تعليق مؤقت لمعتقداته. وعن طريق تعليق بعض هذه المعتقدات فإنه كان يتمسك بالفعل ببعضها الآخر وهي معتقدات أكثر تقدماً حول السبب الذي من أجله كان شكه المؤقت ضرورياً.

عود إلى السلة : -

أوشك ديكارت أن يقنعنا أن سلة تفاح المعرفة لا بد أن تبقى للحظة قصيرة فارغة، فجميع معارفنا قد تكون فاسدة - من حيث المصدر - وقد لا تكون لكن ليس في استطاعتنا أن نضمن أنها ليست كذلك. فحواسنا قد تكون كاذبة، وربما كنا في حالة حلم أو أن شيطاناً خفياً لا نراه قد يحاول الإيقاع بنا - تلك هي النتيجة المتراكمة لجميع الحجج التي هي في النهاية قوية ودامغة.



لا يمكننا حتى أن نضمن بأن
لدينا أجساما، لكننا لدينا عقول فقط.

إذا كان ديكارت فيلسوفاً شاكاً حقاً، فلا بد أن تنتهي فلسفته هناك - أي عند الشك أيضاً، ثم كان في استطاعته أن يعود ليزرع الخضروات في حديقته. لكنه ليس فيلسوفاً شاكاً حقيقة، فهناك تفاحة واحدة غير عادية خلفها، وكان لها الحق في أن تبقى في السلة.

التفاحة الأخيرة : «أنا أفكر، إذن، أنا موجود».

بمراجعة عملية الشك الصارم هذه اكتشف ديكارت في النهاية شيئاً غير عادي، فقد أدرك أن هناك باستمرار شيئاً واحداً لا يمكن الشك فيه أبداً - وهو حقيقة أنه يشك أو أنه يفكر، فلا يمكن للتفكير أن يحدث في الهواء بل لابد أن يكون هناك وعي أو ذهن هو الذي يقوم به. ومن ثم فلا يمكن لديكارت أن يشك أنه موجود أيضاً. ومن هنا جاءت مقولته الشهيرة: «أنا أفكر إذن أنا موجود Cogito, Ergo-Sum..». أو ربما قلنا بدقة أكثر: هناك أفكار فلا بد أن يكون هناك ذهن.

عليّ حين أني أستطيع أن أدعي بأنه
ليس لديّ جسمٌ وأنه لا يوجد هنالك عالم،
فإنني لا أستطيع بالنسبة لكافة الأشياء أن
أدعي بأنني لست موجوداً فقد أدركتُ ذلك
من مجرد الحقيقة بأنني قد فكرتُ في الشك
في حقيقة الأشياء الأخرى.



وعلى ذلك فحالما تحاول أن تتشكك في الكوجتو Cgito (أنا أفكر إذن أنا موجود) - حتى تجد نفسك - بشكل عجيب ينطوي على مفارقة - تؤكد هذه الحقيقة التي لا تعتمد على الحواس. وعلى نحو ملحوظ أكثر تجدها محصنة أيضاً ضد الأعياب الشيطان الخفي غير المرئي.



حتى أنه لا يستطيع أن يجعلنا
نتشكك في الشك. فالتشكك هو
نوع خاص من التفكير.

ففي استطاعة الشيطان، مثلاً، أن ينومنا مغناطيسياً ويجعلنا نعتقد أن لدينا أرجلاً وأننا الآن نسير، لكنه لا يستطيع خداعنا حول الشك. وأخيراً وصل ديكارت إلى امتلاك تفاسحة لا يجوز الشك فيها تماماً ليضعها في السلة.

ما هو الكوجيتو Cogito...؟

«الكوجيتو»^(١) هو اكتشاف غير عادي وهو المبدأ الأول في كل فلسفة ديكارت، وهو الذي أثر في كافة أنواع الفلسفة الحديثة، بالإضافة إلى الأدب، والفن، والعلوم الاجتماعية والدين. ولقد أقام جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠) فلسفته الوجودية على أساسه. ولقد شغلت المسائل والقضايا التي أثارها العديد من الفلاسفة لعدة سنوات ولا يزال الأمر غير واضح تماماً بخصوص ما هو «الكوجيتو» بالفعل على وجه الدقة.



لقد اعتقد بعض الفلاسفة أن الكوجيتو هو الاكتشاف الفعلي الحقيقي عن الموجودات البشرية والكون (فهو قضية «تركيبية»).

(١) الكوجيتو Cogito هو اختصار لعبارة ديكارت «أنا أفكر إذن، أنا موجود» التي هي اليقين الأول الذي وصل إليه نتيجة لعملية الشك (الترجم).

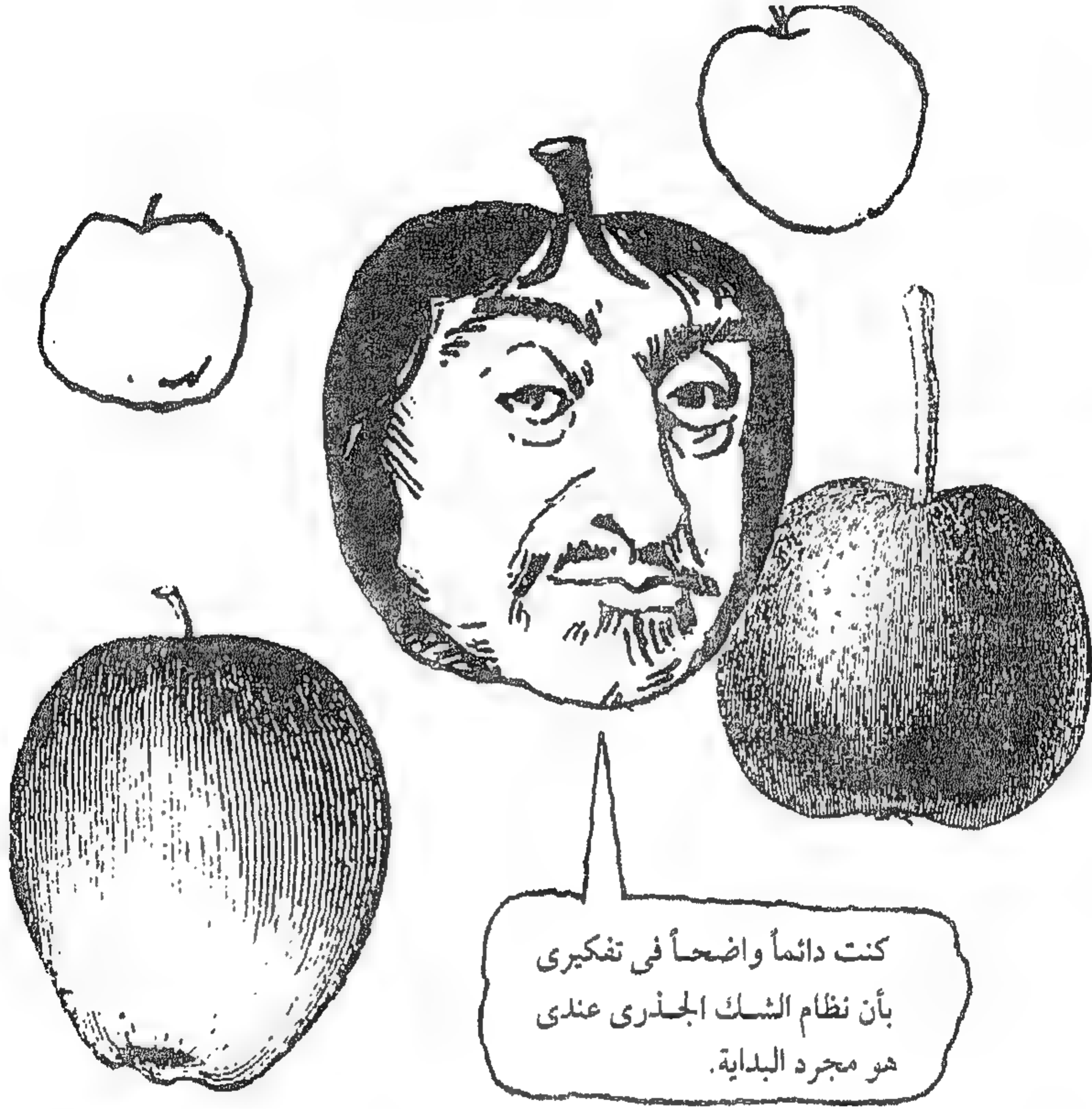
ويذهب بعضهم الآخر إلى أنه مجرد عبارة توضح المعنى وتربط التصورات بعضها ببعض مثل تصور «الفكر» و«الوجود» (فهو مجرد قضية تحليلية فارغة).



لكنه يظل واحداً من أهم اكتشافات الفلسفة الغربية، وربما يحدد النقطة التي بدأت منها الفلسفة الحديثة وانتهت عندها الفلسفة الاسكولائية أو المدرسية (فلسفة العصور الوسطى) - كما أنه بدأ فرعاً من الفلسفة يطلق عليه الآن اسم «فلسفة الروح Philosophy of Mind» - والتي سنعود إليها فيما بعد - في هذا الكتاب - بصورة أوضح.

مأزق الكوجيتو : -

لكن على الرغم من اليقين العجيب للكوجيتو. فيبدو أنه يؤدي إلى نهاية ممتة. فلو أنك مارست الشك أو التفكير فإنك تستطيع عندئذ، وفي هذه اللحظة أن تضمن وجود ذهنك أو أنك مدرك وواع، غير أن هذا النوع من المعرفة الخاصة المؤقتة ذات نفع محدود.



الكوجيتو اكتشاف فريد فذ، لكنه ليس المقصد النهائي لجهود ديكارت الفلسفية. لأنه كان أشد طموحاً، فقد كان يريد أن يكون على يقين من أمور أكثر من مجرد وعيه الذاتي الخاص، لقد أراد أن يعيد بناء أسس وبنية كافة المعرفة البشرية.

المعرفة العامة : -

يجب أن تكون المعرفة عامة بحيث يمكن أن يُقرأ عنها في الكتب والصحف، وتُحفظ في المكتبات. ومن المهم جداً أن تكون المعرفة العلمية يمكن تكرارها واختبارها وأن تكون ديمقراطية (أى شعبية) وإلا فسوف تظل لا شئ سوى معتقدات شخصية في ذهن الفرد. ويقارن ديكارت اليقين المحدود للكوجيتو «بالبهلوان الذي يقفز لكنه دائماً يهبط على قدميه».



التقدم دائماً بطيء ومحدود.
فكيف لنا إذاً أن نجد الحقائق التي
نستطيع أن نقنع بها بشكل جازم
كما نقنع بوجودنا.

قاعدة الوضوح والتمييز : -

وهكذا كان على ديكارت تحويل معرفة الكوجيتو الخاصة المؤقتة إلى شيء دائم وأكثر شعبية. ولقد شعر أنه إذا ما استطاع أن يكتشف ما الذي يجعل الكوجيتو يقينياً على هذا النحو، فإنه سيكون قادراً عندئذ أن يكتشف القاعدة العامة التي تقدم ضمانات مماثلة لليقين حول أنواع أخرى من المعرفة، فحاول أن يقدم قاعدة عن طريق حجة على هذا النحو:



قاعدة «الوضوح والتمييز» هي أول قاعدة في كتاب ديكارت «مقال عن المنهج» التي تفيد الحيلة والحذر. وفي كتابه «تأملات في الفلسفة الأولى» أصبحت أداة قوية لاكتشاف ما يعتقد ديكارت أنه سيمكنه من القفز فوق هذا اليقين الخاص المحدود إلى يقين أوسع وأكثر مرونة حول أنواع أخرى من المعرفة.

مشكلات قاعدة الوضوح والتميز : -

يشارك ديكارت كثير من فلاسفة القرن السابع عشر فى رأى القائل بأن التفكير فى الأفكار الموجودة فى أذهاننا هو أشبه ما يكون بمشاهدة نوع من شاشة السينما الذهنية، فلا بد لفكرة أن تصل إلينا بنفس الوضوح والفورية كالموضوعات التى تصل إلى أعيننا عندما نراها. إلا أن تفسير ديكارت لقاعدة «الوضوح والتميز» ليس هو نفسه واضحاً تماماً. إذ يبدو أنه يغير رأيه فى معناها وفى أهميتها أو الاعتماد عليها فى آن واحد. فهو يذهب فى كتابه «مقال عن المنهج» إلى أن هناك مشكلة أو صعوبة فيما هو «متميز»، ومع ذلك فإنه يؤكد فيما بعد فى كتابه «التأملات» «إننا لا يمكن أن نخطئ فى هذا الطريق». والوضوح والتميز مصطلحان نسيان. فما هو واضح ومتميز بالنسبة لك قد يكون مربكاً بالنسبة لى.



وهذا هو السبب الذى جعل ديكارت يدخل الإله فى هذه الفكرة.

الحاجة إلى الله :-

قبل أن يستطيع ديكارت أن يثق في قاعدة «الوضوح والتميز» كان بحاجة إلى إزالة تهديد الشيطان الشرير، وأفضل طريقة لذلك هي استحضار إله لا يمكن أن يخدعنا أو يضللنا، ويضمن باستمرار أن تكون الأفكار الواضحة المتميزة التي ترد إلى عقولنا صادقة. فراح يقول أن لديه بالفعل في ذهنه فكرة واضحة ومتميزة عن الله. وكانت أفكاره عن الله هي الأفكار اللاهوتية التقليدية والمعروفة عن موجود كامل لا امتناه لا يتغير دائم الوجود.



الحجة "المسجلة" :-

كثيراً ما تعرف حجة ديكارت باسم حجة «العلامة التجارية المسجلة» فعندما ينتج مصنعاً ما سلعة معينة فمن المعتاد أن يضع «ماركته المسجلة» عليها.



اعتقد ديكارت أن كافة الكائنات البشرية ولدت بمزيج غريب من الأفكار الفطرية بما في ذلك تلك الأفكار عن الرياضيات، والنفس ووجود الله. وبعد ذلك اعتمد على المبدأ القديم والغريب لـ«لاسكولائية» «مبدأ السبب الكافي» لتعزيز حجته. ويعتمد هذا المبدأ على مجموعة من المعتقدات الدينية.



الله موجود أيضاً، ولكن ليس بسبب «مبدأ السبب الكافي»، فالأفكار في الذهن واقعية بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تكون بها الأشياء أو الموجودات «واقعية» حتى الموجودات المقدسة. ويبدو أن بعض المعتقدات الاسكولائية القديمة كان لا يزال يصعب جداً على ديكارت التخلي عنه، ولقد كان مفكراً عظيماً وأصيلاً، لكنه كان - مثل معظمنا - نتاج عصره.

الدور الديكارتى : -

غير أن الأمر السيء هو أن حجة ديكارت أصبحت الآن سيئة السمعة لكونها كما يقال: «دور ديكارتى». فديكارت يستخدم ما يريد البرهنة عليه كمقدمة من مقدماته. فليس فى استطاعتك أن تضمن قاعدة «الوضوح والتميز» من إله يقول الحقيقة إذا كنت تزعم بالفعل أنه موجود بسبب أن لديك فكرة واضحة ومتميزة عنه فى ذهنك. فإذاً فديكارت يحتاج إلى الله ليضمن قاعدة الوضوح والتميز، ويحتاج إلى قاعدة الوضوح والتميز ليضمن أن الله موجود.



الدليل الوجودى على وجود الله :-

كان لديكارت أيضاً نسخته الخاصة من دليل اسكولائى آخر على وجود الله؛ وهو المعروف باسم «الدليل الأنطولوجى» وتنسب فى العادة، الجدارة لابتكار هذه الحجة إلى اللاهوتى القديس أنسلم (١٠٣٣ - ١١٠٩) ويسير الدليل على النحو التالى :-

- ١ - الله موجود كامل تماماً.

- ٢ - الكمال الشامل لا بد أن يتضمن الوجود.

ولما كانت الأفكار أدنى من الأشياء الموجودة - تذكر ذلك؟

ولما كان الله موجوداً كاملاً، فإنه لا يمكن أن يظل فكرة أدنى - أيمن ذلك؟

- ٣ - إذن فالله موجود.



أنسلم

ويختلف «الدليل الأنطولوجى» عند ديكارت عن ذلك اختلافاً طفيفاً، ففكرته الواضحة المتميزة عن الله أنه موجود كامل تماماً، ومن ثم فلا بد أن يكون الله كاملاً تماماً.. وهكذا.

سلسلة من البراهين المكشوفة :

الدليل الأنطولوجي على وجود الله ليس مقنعاً، فأنت تحاول أن تضع الله في الوجود بطريقة سحرية من خلال طريقة تعريفك لله، كما لو أن للكلمات القوة التي تجعل الأفكار واقعية.

ويريدنا ديكارت أن نقبل القول بأن معرفتنا للعالم الخارجي يوجد بها عيوب بل حتى أنها مجرد هذيان. ومع ذلك فهو في الوقت نفسه يريد منا أن نقبل القول أن جميع الأفكار الواضحة والتميزة صادقة وأنها ستكون مضمونة عن الله الذي نحاول أن تبرهن على وجوده سلسلة من «البراهين» المكشوفة»، فما كان ديكارت يعارضه أصبح مشكلة أساسية عند كافة الفلاسفة العقلانيين.



- «الحل» الذي يقدمه ديكارت هو أن الله خلق عنا وعن العالم. حقائق أزلية وإننا إذا ما أدركناها في وضوح وتميز، فإنها بذلك تكون مضمونة.

ارتكاب الأخطاء: -

هناك مشكلة أخرى أمام ديكارت هي أنه إذا ما كان الله يضمن الأفكار الواضحة والتميزة، فلماذا لا يزال الناس من ذوى الضمائر الحية يرتكبون الأخطاء...؟ كثير من الناس يعتمدون على كيفية النظر إلى قدرات البشر الكامنة، فبعض الفلاسفة - مثل اسبنوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) يعتقدون أن القدرة البشرية لامتناهية في طاقتها بالفعل.



العقل ضد الإرادة : -

لديكارت نظرية عن السبب الذى يجعل الذهن البشرى على الدوام ذا قدرة محدودة. فنحن نصل إلى الإيمان بالأشياء ونصدر عنها أحكاماً بعد ممارسة نوعين من ملكاتنا: النوع الأول هو العقل، والثانى هو الإرادة. فقد تقرر عقولنا أن مجموع زوايا المثلث هي ١٨٠ درجة. ثم بعد ذلك علينا أن نختار الإيمان بذلك (أو تصديقه) أولاً، بشرط أن نختار دائماً الأفكار الواضحة والمتميزة. عندئذ فإننا - فى نظر ديكارت - لا يمكن أن نقترف أخطاء.



إن حريتنا فى الاختيار هى نفسها لامتناهية وهى منّة من الله، وهى - إلى حد كبير - ما يجعلنا بشراً.

غير أن القوة الطاغية لهذه الإرادة الحرة هي السبب في أننا كثيراً ما نقع - للأسف - في الخطأ؛ ولما كنا موجودات بشرية، فإن لدينا ميولاً لممارسة حريتنا في الاختيار بطريقة تتجاوز حدود الأفكار الواضحة والتميزة التي وصلنا إليها عن طريق الفهم. ولسبب ما فقد منحنا الله حرية شاملة وفهماً محدوداً.



العلاج الوحيد لنا هو كبح إرادتنا
ومنعها من إصدار الأحكام وأن تُقيّد
مزاعمنا المعرفية بالأفكار الواضحة
والتميزة.

بهذا التفسير تمكن ديكارت من التمسك بنظريته في الأفكار الواضحة والتميزة، وفي الوقت نفسه، من تفسير السبب الذي يجعل الموجودات البشرية تقع في الأخطاء بصدد الأشياء طوال الوقت .

الاعتقاد زهيد الثمن :

لم يقدم ديكارت تفسيراً مقبولاً تماماً عن الخطأ البشري. وربما يبدو عجبياً أنه يذهب إلى أننا نؤمن باستمرار بأشياء نفهمها. فإذا لم نفهم نظرية الكم، فكيف يمكن لنا أن نؤمن بها؟ يجيب ديكارت أن «الفهم» يعنى «الفهم التام». وقد نظن أننا فهمنا شيئاً ما، مع أننا لم نفهمه فالاعتقاد رخيص. إن الفهم الحق هو أقل تواتراً مما ندرك.



من الواضح المتميز لمعظم الناس أن التدخين يسبب سرطان الرئة، ومع ذلك فما زالت السجائر تباع!.

الاعتقاد والإيمان : —

عندما نتبين أن $2 + 2 = 4$ فإننا عندئذ - فيما يقول ديكارت - ندرك هذه العملية الرياضية على أنها فكرة واضحة ومتميزة؛ ثم نختار أن نؤمن بها أو أن نصدر عنها «حكماً». لكننا عندما ندرك أن $2 + 2 = 4$ لا يكون واضحاً ما إذا كنا نأخذ فكرة في عقولنا أو نتخذ قراراً بصدق تلك الفكرة، فإذا ما أخذنا بأفكار واضحة ومتميزة في عقولنا، فإننا عندئذ بطريقة ما، نتخذ بالفعل قراراً حول وضعها. فهناك شيء غريب حول ربط الاختيار بالاعتقاد بالطريقة التي قام بها ديكارت.



ويبدو كما لو أن ديكارت قد خلط بين الإيمان والاعتقاد.

رهان جيد : -

هذا الخلط بين الاعتقاد والإيمان كثيراً ما يشكل مشكلة عند ديكارت. فالاعتقاد يرتبط بالعقلانية والدليل. أما الإيمان فهو ليس بالفعل نوعاً من الاعتقاد، لكنه أكثر فعل من أفعال الإرادة. فلو أنك مثلاً كنت تظن أنه يمكن البرهنة على وجود الله، فلست بحاجة للإيمان به. ومن المعروف أن المفكر الفرنسي بسكال (١٦٢٣ - ١٦٦٢) ذهب إلى أنه من المعقول أن نختار الإيمان بوجود الله، وهو ما يعرف باسم «رهان بسكال».



لكن هل هذه المقامرة مثال على الاعتقال أو الإيمان؟

يعتقد ديكارت أنه في القسم الرابع من كتاب «التأملات» ثبّت قاعدة لتأسيس الحقيقة، وجعل وجود الله مشروعاً، وبرهن على وقائع وعيه ووجوده، وفسّر السبب في أن الموجودات البشرية تقع في أخطاء، وذهب إلى أن الله هو الضامن لحقائق خاصة معينة.



حياة هادئة في هولنده: -

عندما كان ديكارت يكتب فلسفته احتاج إلى هدوء وسكينة تامة. كما أنه ازداد ملله من أشخاص بعينهم حاولوا توريطه في أنواع مختلفة من المجادلات الدينية. ولهذه الأسباب الوجيهة لم يشأ أن يعرف كثير من الناس محل إقامته في هولنده. فتنقل مرات عديدة، وطلب أن يذهب بريده مباشرة إلى منزل صديقه «مرسين».

«لقد طلبت من مرسين أن يكذب

على أي شخص يسأل عن محل

إقامتي!»



"لم يعد رينيه يعيش هنا"

نجح أحد الأشخاص - ديدعى «سوريير» - فى اقتفاء أثره، عندما أنفق وقتاً طويلاً فى التجوال فى أوربا، فقد كان من النوع الذى يهوى جمع أنباء المثقفين، فوصل بغير سابق إعلان إلى محل إقامة ديكارت فاستقبله بأدب جم. وقد وصف الرجل حياة ديكارت على النحو الآتى :-

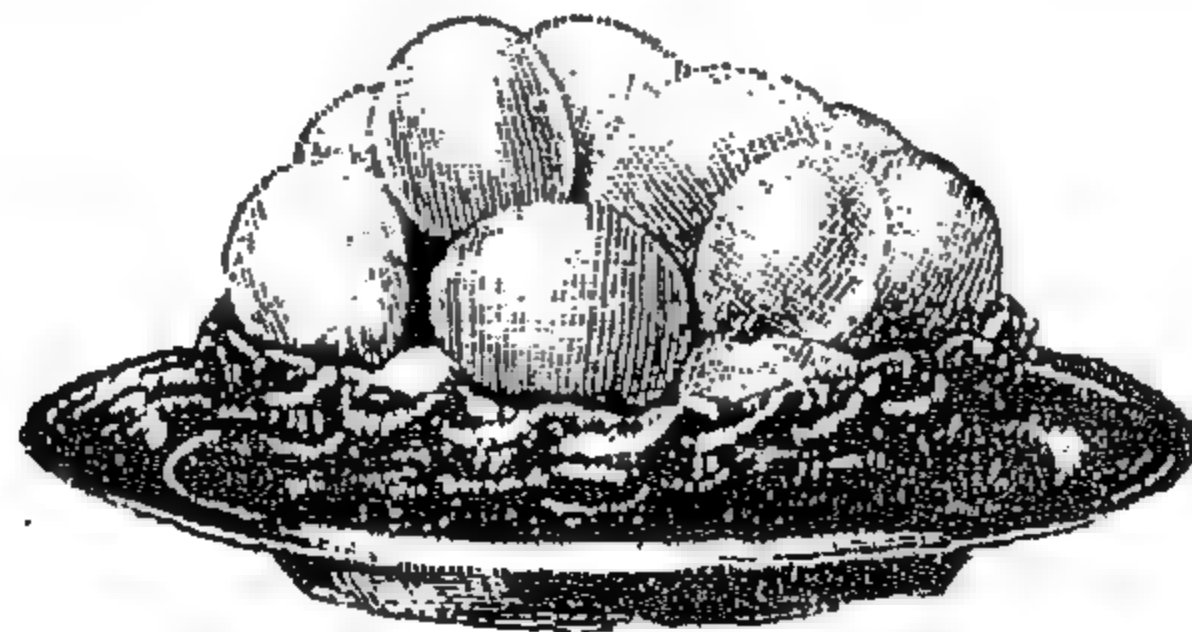
كان قصراً صغيراً فى موقع جميل،
يبعد عن البحر مسافة ساعتين... وكان
لديه مجموعة كافية من الخدم... وحديقة
جميلة محاطة بأشجار الفاكهة، فوق
منحدرات متنوعة الارتفاع، تبدو من
الأفق البعيد وكأنها مجرد رؤوس أو
نقاط. وكان فى استطاعته أن يذهب فى
يوم واحد إلى أوترخت، ورتردام،
وهارلم، وأمستردام.



كان ديكارت فى منتصف عمره يضع شعراً مستعاراً صُنع خصيصاً فى باريس، وكان لديه عندما توفى أربع مجموعات من هذا الشعر المستعار. كما كان أنيقاً فى ثيابه يختار عادة ارتداء اللون الأسود، وكان يحمل سيفاً إذا ما ارتحل إلى مسافة بعيدة كما كان يعيش حياة بسيطة للغاية تتناسب مع رجل مهذب.



كان طبقه المفضل هو «الأومليت»، وهو مؤلف من بيض كان يصير أن يكون عمره ١٠ أيام على الأقل.



وعلى الرغم من قيامه بالتمارين الرياضية كل يوم، فقد كان يقضى اثنتى عشرة ساعة على الأقل فى الفراش، حيث كان يقوم بمعظم تفكيره وينجز بعض كتاباته.



وقد اعتبر جسمه آلة جيدة الصنع تقوم بعملها على أكمل وجه إذا مارست التمرينات الرياضية وتركزت لوسائلها الخاصة.



كان لدى ديكارت قليل من الخدم، وكان باستمرار كريماً معهم، وأحياناً كريماً مع الأغراب. وفي أحد الأيام وصل صانع أحذية فقير يُدعى «ربمرانتس» إلى قصره الواسع في اندجست وطلب رؤية الفيلسوف الشهير، لكن الخدم طردوه مرتين دون أن يخبروا سيدهم بذلك. وتصادف أن سمع ديكارت بهذه الواقعة، فسمح له بمقابلته وأدار معه مناقشات فلسفية طويلة.



كان ديكارت يكتب الخطابات على كره منه، فهو يكتب عدة خطابات كل ليلة، وخطاباً طويلاً كل أسبوعين لصديق طفولته «مرسين». فقد كان يرسل أناساً معروفين وآخرين مغمورين في كثير من القارات المختلفة، وكان يصر على أن أسلوب كتابة الخطاب لا بد أن يكون بسيطاً وواضحاً ومتميزاً في كل مرة كما كان يعتقد أنه لا بد أن يكون للأدب انتشار أوسع وأن أحرف الهجاء في الكلمات ينبغي أن تعكس الطريقة التي تُنطق بها. ولقد عبر ديكارت أكثر من مرة عن رغبته في وجود لغة عامة وشاملة.



وكان يعتقد أيضاً أنها فكرة جيدة أن تُبتكر لغة فلسفية خاصة يكون من الممكن معها أن نفكر بوضوح باستمرار.

تأملات في الإدراك الحسى : -

فى التأملىن الخامس والسادس يتساءل دىكارت عما إذا كان من الممكن استعادة اللغة التى اكتسبناها من خلال الإدراك الحسى. كما اعتقد أننا الآن يمكن أن نكون على يقين من بعض الأفكار الرياضية. لكن ما هو نوع المعرفة التى يمكن أن نحصل عليها من العالم الخارجى - خارج عقولنا؟ كانت تلك مشكلة أمام دىكارت وكافة الفلاسفة العقلين.



الأفكار الواضحة والتميزة هى عوامل محددة ومقررة - فهى تصف «ماهيات» الأشياء لكنها لا تساعدنا لمعرفة ما إذا كانت هناك أى فرصة لرؤيتها.

كان ديكارت سعيداً جداً باعترافه أن لدينا تجارب حسية، لكنه أكّد أننا لا نمر بهذه التجارب الحسية أبداً على نحو مباشر فقد كان فيلسوفاً «واقعياً تمثلياً» يؤمن بأننا لا ندرك العالم حسياً إلا على نحو غير مباشر من خلال الصور الذهنية الداخلية أو الأفكار.



ولكن إذا كان الله هو الخير، فلماذا يزودنا بحواس هي غير مباشرة على هذا القدر وغير موثوق بها..؟ فماذا كان جواب ديكارت عن هذا السؤال؟

استحضار الإله مرة أخرى : -

كان جواب ديكارت عبارة عن تسوية أو حل وسط، يعتمد على الالتجاء إلى الله من جديد، لقد كان مقتنعاً بأن الأفكار الواضحة المتميزة هي على الأقل، وهي تدخل إلى أذهاننا عن الأشياء المادية لا بد أن تعكس شكلاً ما للواقع الخارجى، فلو كان لدينا بعض الأفكار الواضحة المتميزة عن العالم. عندئذ فإن الله سوف يضمن أن تتطابق هذه الأفكار مع «ما هو موجود هناك» بالفعل. غير أن الأفكار الواضحة والمتميزة الوحيدة التى نحن



قد لا تتطابق موضوعات العالم بدقة مع انطباعاتها الحسية عنها. ولذلك فهى ضرب

من التسوية أو الحل الوسط. فقد يضللنا الإله بعض الوقت فحسب

اليقين الرياضى : -

تلك هى التى برهن عليها ديكارت بعد أن فحص قطعة شمع العسل. عندما تبدو صلبة بل حتى يمكن أن نسمع الصوت الصادر عن نقرها. وعند تسخينها تصبح سائلاً بلا صوت. ولما كانت «جسماً» فإننا نكون على يقين أنها «ممتدة» - حتى برغم أنها موضوع ذو ثلاثة أبعاد.

من الصواب أن نقول إن الطبيعة
الرياضية يمكن دائماً أن ندركها
بواسطة الذهن وحده.



ويبدو ذلك اعتقاداً غريباً - أن تعرف ما هو الشكل الخالص لقطعة الشمع من ممارسة الذهن وحده فى استقلال عن الحواس، وقد تكون الفكرة التى وصل إليها فكرة علمية جيدة، رغم أنها البنية الرياضية التحتية للأشياء التى تزودنا بالحقيقة الواقعية عنها. غير أن القول بأن المعرفة الحقيقية لا بد أن تكون معرفة رياضية - كما هو دائم وثابت - ليست

جديدة على ديكارت ، على نحو ما سنرى فيما بعد.

الرياضيات اليونانية القديمة : —

كان اليونانيون القدماء هم أول مَنْ أدرك أن للأعداد، فيما يبدو، حياة عجيبة خاصة بها، وكان فيثاغورس (٥٠٠ - ٥٥٠ ق.م) هو أول مَنْ أدهشته هذه الأعداد حتى أنه ينبغي عبادتها!.

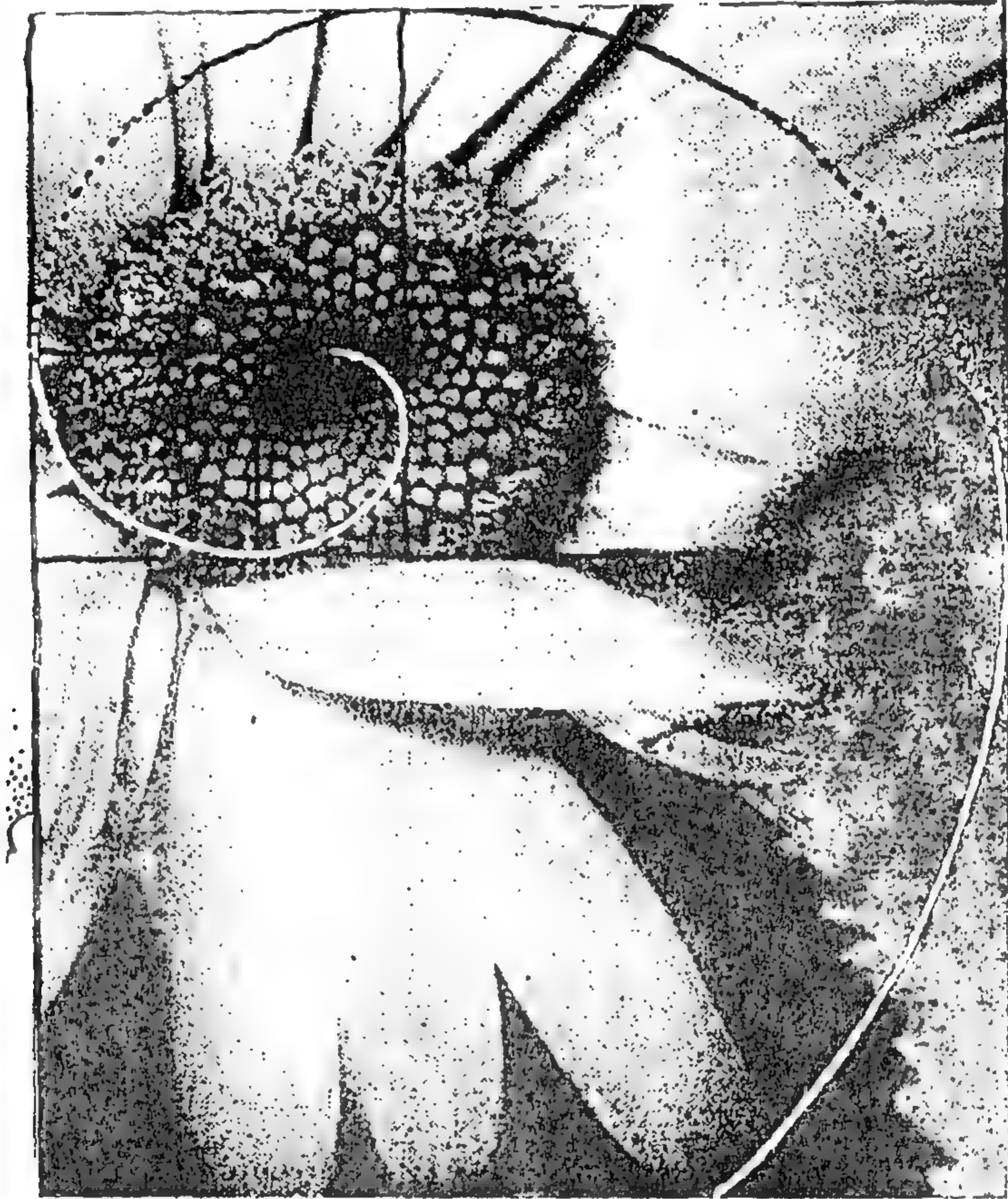


هناك رياضيون «أفلاطونيون» يميلون إلى الاتفاق مع رأي أفلاطون القائل بأن

هل بنية الكون رياضية ؟

يبدو أن الطريقة التي تبرز بها الحرف اليوناني «باي Pi»^(١) على نحو غير متوقع كحرف ساكن في كافة أنواع المشكلات الرياضية العملية التي تشير إلى أن الرياضيات مضمورة في العالم المادي بطريقة ما.

فزهرة عباد الشمس وكوز الصنوبر يتبعان الأعداد الفيونشية Fibonacci (١، ٢، ٣، ٥، ٨، ١٣، ٢١، ٣٤ ... إلخ).



بل حتى الأشياء الفوضوية العشوائية في ظاهرها. كالسحب تتبع النماذج الكسر الهندسية. فيبدو أن الرياضيات شاملة.

(١) هو الحرف السادس عشر في الأبجدية اليونانية (المترجم).

ديكارت : عالم الرياضيات : -

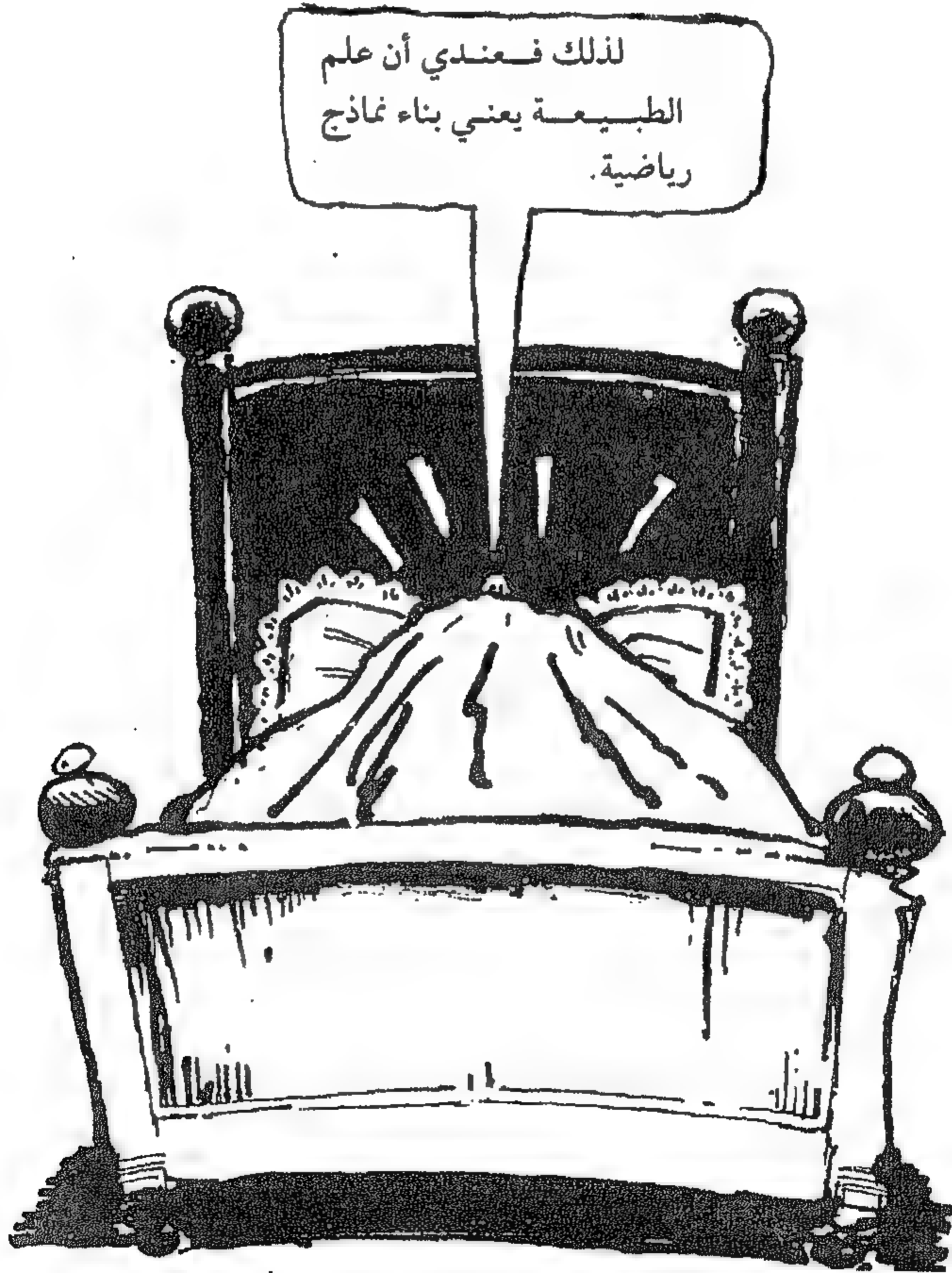
اشتهر ديكارت كعالم رياضيات، كما اشتهر بأنه فيلسوف. وقد أطلق اسمه على «الأحداثيات الديكارتية»، وهو الذى ابتدأ مجموعة من الاصطلاحات الشائعة الآن عند الرياضيين مثل تمثيل المجهول بواسطة الحروف (س، ص، ع) وتمثيل العلوم بأحرف (أ، ب، ج) كما ابتكر طريقة حديثة فى التربيع والتكعيب بواسطة استخدام الأرقام كما هى الحال فى (٢٤). كما دفع الهندسة التحليلية بقوة إلى الأمام، التى تعمل على حل المسائل الهندسية بطريقة أسهل. وقد بين ديكارت فى كتابه «الهندسة» كيف نستطيع استخدام الجبر للتعرف على كثير من المشكلات النمطية فى الهندسة، كما جمع بين الأشياء التى يمكن الربط بينها. وبسبب نجاحه فى عمل ذلك، فقد اعتقد أن كافة المعارف البشرية يمكن فى النهاية تحويلها إلى الشكل الرياضى.



هذا ما جعلني أدرك أنه لابد
أن يكون هناك علم عام.. وأن هذا
العلم ينبغي أن يسمى «بالرياضيات
الشاملة».

صرامة الرياضيات : -

فى آخر أحلامه الثلاثة الشهيرة، اعتقد ديكارت بأنه قد تجلّت له الطريقة التى يستطيع أن يوحد بها العلم كله بهذا «المنهج» الواحد للرياضيات. فالرياضيات، لا سيما الهندسة، تزودنا بضمانات واستنباط صارم، كان بالغ الأثر على ديكارت، فلو أنك قبلت بعض البديهيات على أنها «واضحة بذاتها» فى الهندسة مثل البديهية التى تقول: «الخطّان المتوازيان لا يلتقيان مهما امتدا»، أو أن «الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين»، فإن من الممكن عندئذ أن تستنبط من تلك البدايات البسيطة مجموعة ثرية من المعارف الموثوق بصحتها. ومن الواضح أن ديكارت اعتقد أن مقادير كبيرة مماثلة من المعرفة يمكن أن نحصل عليها من بديهيته التى تقول: إن «المادة هى جوهر ممتد».



ولكن ما هي الرياضيات...؟

لذلك كانت الرياضيات، فيما يبدو، شاملة. وهذا هو السبب إذا أردنا الاتصال بموجودات في مجرات أخرى، فمن المنطقي أن نرسل لها رسائل رياضية وليس رسائل لغوية.



لا أحد يعرف بالضبط ما هي الرياضيات، وبعض علماء الرياضة أنفسهم غير متأكد من ذلك. ولا يزال غير واضح ما إذا كانت الرياضيات هي شيئاً اخترعناه أم أنها شيء علينا اكتشافه.

نسبية الرياضيات : -

الرأى الذى أعاد تأكيد أن الرياضيات واحدة وشاملة، صادم تحدياً من ابتكارات (أو اكتشافات) حديثة لاقت قبولاً تاماً بفضل نجاح «الهندسات البديلة». فقبل ذلك كان كل إنسان يعتقد أن إقليدس (حوالى ٣٠٠ ق.م) قد «اكتشف» الهندسة الوحيدة الحقيقية الموجودة فى الكون على شكل رموز. ويبدو الآن من المعقول أن نفترض أنه لا شىء كلى وشامل فى هندسة إقليدس؛ فهى قد تكون أداة بحثية بشرية محلية، تصادم أن أصبح لها معنى جيد.

ربما كانت عقولنا البشرية
«مجهزة» لمثل هذا النوع من
الرياضيات.

تلك هي الطريقة الوحيدة فى
الوقت الراهن التي تمكننا من أن نفهم
ما الذي يحيط بنا.



الشكليون: Formalists

هذه النظرة النسبية أو «الشكلية» تذهب إلى أن الرياضيات ليست سوى ابتكار بشري، فهي نسق مغلق «فارغ» من الاستنباطات نتجت من مجموعة من البديهيات الأولى الواضحة بذاتها. ويصرح الشكليون بأن الرياضيات لا تكشف لنا أسرار الكون وإنما هي تشبه رقعة الشطرنج - لعبة منظمة تنظيماً ذاتياً ومتسقاً.



لما كانت الرياضيات نسقاً «مغلقاً»، فمن الصعب أن نرى كيف يمكن أن تزودنا بمعارف «جديدة» عن أي شيء آخر سوى نفسها. فالرياضيات عند الفلاسفة الشكليين يمكن فقط أن تكون مشروعة أو غير مشروعة. أما كلمات مثل «صادق» أو «كاذب» فهي لا يمكن أن تنطبق عليها.

القصة الناجحة :-

اتُّهم ديكارت بأنه أفلاطوني، لأنه اعتقد أن العقل قادر على اكتشاف الحقيقة العلمية - وقد أسس ثقته في ذلك على الإيمان بالرياضيات. ويبدو أنه اعتقد أن كافة المشكلات البشرية يمكن في النهاية أن تكون مشكلات رياضية. ولقد أصبحت رؤيته هذه إلى حد ما، واقعاً حقيقياً.



في عصرنا لم يكن من الممكن لعلوم نظرية مثل: علم الطبيعة النووية، والفيزياء الفلكية، وعلم الكيمياء، وعلم الوراثة، وعلم البيئة، وعلم الاقتصاد، وعلم اللغة وعلوم الكمبيوتر، - أن توجد بدون الرياضيات.

وفي السنوات الأخيرة من القرن العشرين، كان العلماء يعتقدون - ويأملون - أن
يكشفوا النظرية العظيمة الموحدة لكل شيء - وهي (نظرية كل شيء T.O.E) وهي التي
توحد قوانين الجاذبية والمغناطيسية - الكهربائية، والنشاط الإشعاعي، والقوة النووية الهائلة
(التي تربط بين الترون والبروتون معاً داخل النواة).

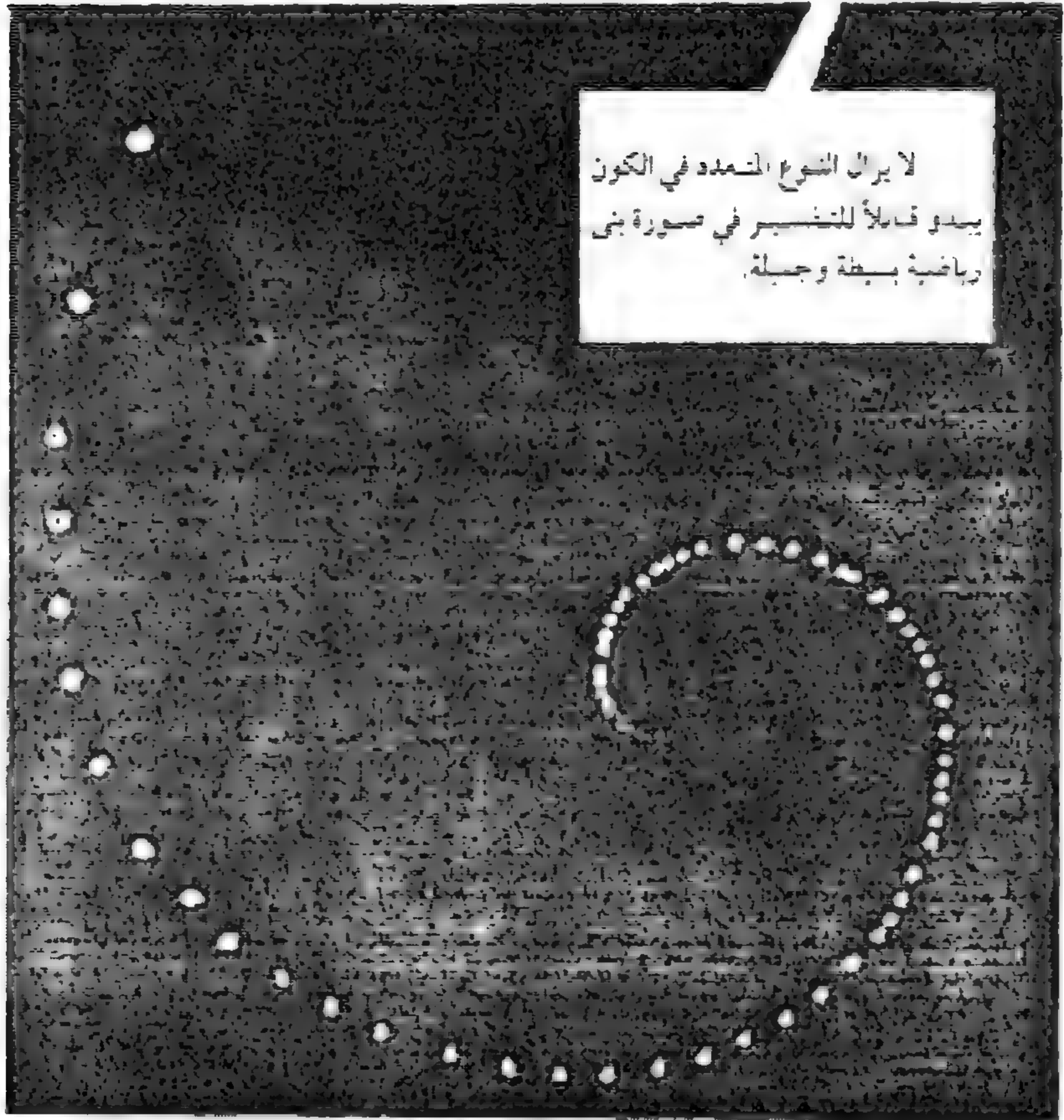
«إن وجدت هذه النظرية
وتم اكتشافها في الوقت
الحالي، فسوف تكون الشيء
الوحيد المؤكد الذي نستطيع
أن نقوله عنها.

سيعبر عنها
بالمصطلحات الرياضية.



الكائنات البشرية الرياضية : -

لا يزال العديد من علماء الرياضة يناصرون الديكارتية، وبوصفنا كائنات بشرية رياضية، فإننا نعتقد أن الكون منظم تنظيمًا رياضيًا، وأنه على نمط رياضي. ويبدو لنا، حتى الآن، أنه على هذا المنوال. فعندما نبحث الجزيئات النووية الصغيرة جداً، أو الثقوب السوداء الشديدة البعد، فيبدو لنا أن الرياضيات تصف وتفسر مثل هذه الظواهر الغريبة، بوضوح وبقوة تنبؤية.



ومما يشير الدهشة أكثر من ذلك أن يجد العلماء بصورة مستمرة، أن الرياضيات الشكلية التي ابتكرها المفكرون في السابق، كثيراً ما يكون لها فيما بعد تطبيقات «أفلاطونية» عملية.

الشكلية التي ابتكرها المفكرون في السابق، كثيراً ما يكون لها فيما بعد تطبيقات «أفلاطونية» عملية.

جَعْلُ كل شيء رياضياً: -

لا أحد يعلم في الواقع على وجه اليقين ما إذا كانت «رياضياتنا» تزودنا بنماذج مفيدة توفر لنا فقط إرشادات تقريبية عما يكون عليه الكون، أو ما إذا كانت تنبئنا بالحقيقة بأكملها، لقد جعل حلم ديكارت من العلم الحديث ممكناً وقوياً بطرق لم يكن يتخيلها قط.



ومن المؤكد أن الإيمان الأعمى فى قوة النماذج الاستنباطية الرياضية قد أدى
بديكارت إلى العديد من النتائج البالغة الغرابة فى مجال العلوم الطبيعية.



لدى الرياضيات دور صغير تقوم به فى العلوم الإنسانية مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع. لكن حتى الآن تبدو العواطف البشرية، والسلوك، والثقافة، والتاريخ، والحضارة ذاتها، بعيدة عن قبضة الصيغة الرياضية. (على الرغم من أن بعض الفلاسفة وعلماء الرياضة يعتقدون أنه فى يوم ما قد يكون هناك نوع من «الرياضيات اللينة» الجديدة والأكثر مرونة - التى قد تنجح فى أن تفعل ذلك).

الشيء الممتد Res Extensa

أخذ ديكارت بالأفكار الفيثاغورية والأفلاطونية التي تقول: إن العالم المرئي هو مجرد وهم يخفى وراءه الحقيقة الرياضية للأشياء. لذلك ليس ثمة شيء جديد، بصفة خاصة، في رأى ديكارت القائل بأننا لا يمكن أن تكون لدينا سوى معرفة بشيء ممتد Res Extensa (الطول، والعرض، والارتفاع للمادة التي تشغل مكاناً).



أما الخصائص مثل الصلابة واللون فهي نسبية، ولا يمكن قياسها، وهي إحساسات ذاتية تظهر في العقول البشرية من الأشياء لكنها ليست حاضرة فيها بالفعل. ولذلك فالأشياء تمتلك «كيفيات أولية» يمكن الثقة فيها بالإضافة إلى «كيفيات ثانوية» أكثر عجباً وإرباكاً.

الكون عند ديكارت ملئ، بالفعل، بالرموز والمعلومات الرياضية، والكشف عنها هو مهمة علماء الرياضة.



وهذه الرؤية الرياضية شجعت ديكارت ليصف الكون بأنه شيء واحد هائل مفرد يشغل مكاناً، وصورته العقلية المجردة هي صورة رمادية ممتلئة - كما لو كان الكون قد تم اختزاله إلى عقيدة رمادية متجانسة شاملة «ممتدة».

لذلك فكل شيء موجود في هذا العالم ، بالفعل ، هو عند ديكارت «شيء ممتد»، أى مادة يمكن قياسها رياضياً ويعرفها الذهن البشرى على وجه اليقين. ولقد نتجت فكرة ديكارت عن الذهن البشرى من هذه الفكرة.

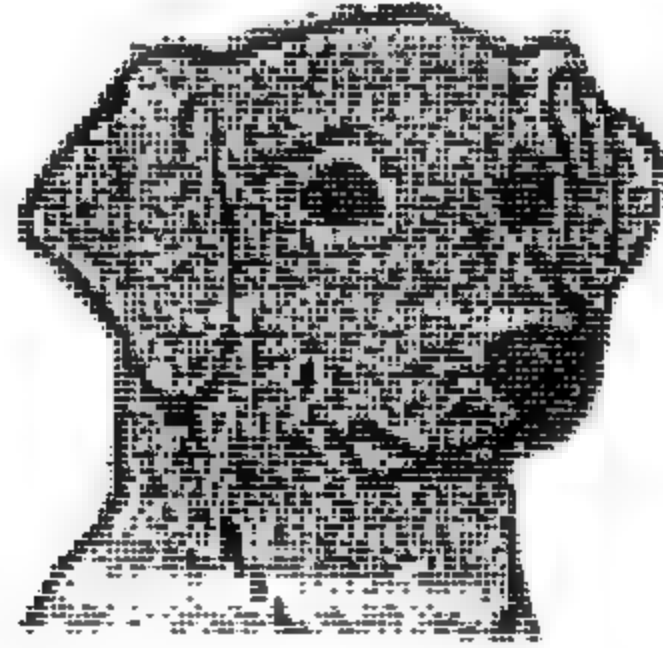


لقد اعتقد أن هذا هو بوضوح الوضع في كافة الوظائف الفيزيائية اللاشعورية عندنا مثل التنفس، وطرفة العين. ولقد أدى هذا الرأي بديكارت إلى اعتقاد غريب ومرعب يقول: إن الحيوانات لا وعى لها، وليست الأصوات التى تصدرها عند تشريحها وهى حية سوى تلك الأصوات التى يمكن أن تصدر عن الآلات عند تفكيكها. وليست صرخات الألم سوى أصوات آلية فحسب.

لقد كان ذلك هو الجانب المخيف من النشاط العقلي لديكارت. لقد نظر إلى جميع الحيوانات والأجسام البشرية على أنها مجرد آلات حيّة. ولهذا فقد كان يستمتع بتشريحها ليرى كيف «تعمل»، ولابد أنه بذلك قد أخاف بعض الجزارين في أمستردام الذين اعتاد أن يزور محلاتهم يومياً، ويأخذ إلى منزله أجزاء كبيرة من حيوانات مختلفة ثم يقوم بتشريحها بعد ذلك.

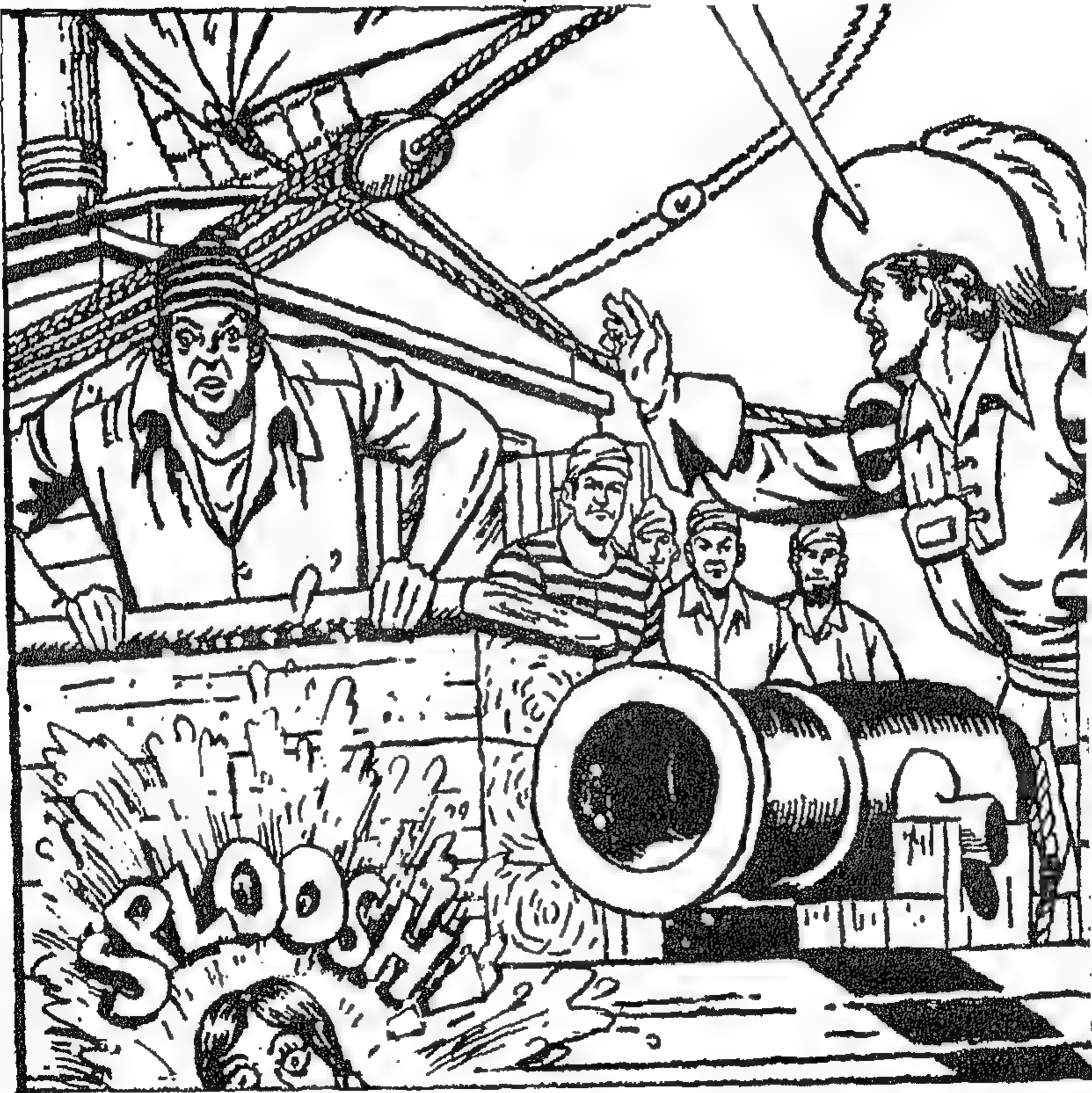


ولقد كان يمتلك أيضاً كلباً كان يطلق عليه اسم «مسيو جرات» ولحسن الحظ تركه سليماً دون أن يُمس.



ولما كان ديكارت مهتماً بالآلات، فقد كان لديه ذات مرة آلة مصنوعة على شكل فتاة صغيرة تستطيع أن تصدر أصواتاً تشبه أصوات البشر، وتحرك أطرافها. وقد حمل هذه الدمية العجيبة إلى الخارج في صندوق على متن سفينة. لكن ربان السفينة كان - لسوء الطالع - فضولياً متشوقاً لمعرفة ما بداخل الصندوق، وربما ظن أن ديكارت قد اختطف طفلاً.

لقد فتحت الصندوق وأصابني
الذعر عندما وجدت دمية آلية بدأت
تتحرك وتتكلم!



فألقي بها خارج السفينة مقتنعاً أن هذا الشيء المرعب لابد أن يكون من عمل الشيطان. وامتعض ديكارت كثيراً.

شيء مفكر: - Res Cogitans

الشيء الوحيد الذي لم يكن يتناسب مع الصورة المادية التي رسمها ديكارت هو الوجود البشري - «الشيء المفكر» - أو «الجوهر المفكر». ولا يزال ديكارت يستخدم مصطلحات مثل «الجوهر» و«الماهية» التي استمدتها من فلسفة العصر الوسيط. و«الجوهر» شيء فريد لا يعتمد في وجوده على شيء آخر. أما «الماهية» فهي ذلك العنصر الذي يجعل الشيء عضواً في فئة ما.



وقد تكون له خواص عَرَضِيَّة مثل الحجم ، لكن تلك ليست خاصية «أساسية» تجعله مثلاً. وعلى ذلك فإن «ماهية» الذهن هي التفكير.

الثنائية الديكارتية : -

وصل ديكارت إلى فكرة أن الموجودات البشرية مكونة من جوهرين هما العقل الواعية والأجسام المادية. ومن ثم فهناك فى العالم نوعان من الجوهر: الذهن والمادة.



هذه الثنائية الديكارتية كانت أساسية لفلسفة ديكارت كلها. وهى تبدو مألوفة فى العالم الغربى بسبب النظرية المسيحية التى تذهب إلى أن للموجودات البشرية «أنفساً». ولقد ظل ديكارت كاثوليكياً طوال حياته، واعتقد أنه يستطيع أن يزود نظرية الأنفس باحترام فلسفى. وحتى الأشخاص الذين ليس لديهم إيمان دينى قوى لا يزالون معجبين بهذه الصورة العاطفية والنفسية فى تشكيل الموجودات البشرية. فالكثير منا يحب أن يعتقد بأن أنفسنا خالدة ولن تفنى.

الحجة الثنائية : -

لم تكن فكرة ديكارت عن النفس مسيحية أرثوذكسية تماماً فقد استخدم كلمات مثل «ذهن» و«نفس» و«عقل» على التبادل، وهي كلها تشير إلى شيء واحد، حتى وإن كانت لها مضامين مختلفة قليلاً (فكلمة النفس لا تدل دائماً عند مفكرى القرن السابع عشر على كائن خالد، على الرغم من أن ديكارت رأى أنها كذلك). فهو يحاول فى التأمل الثانى أن يبرهن على القضية القائلة بأن الأنفس أو الأذهان تختلف اختلافاً تاماً عن الأجسام. (فكلمة الجسم عند ديكارت تعنى شيئاً مادياً يشغل مكاناً وعلى ذلك فالجسم البشرى هو مجرد «جسم». وتسير حجته على النحو التالى تقريباً: -

- إننى موجود لا ريب فى ذلك (فهو أمر لا يمكن الشك فيه).
- وأن لى جسداً، ذلك أمر فيه شك (يمكن الشك فيه).
- ذلك يعنى أن وجودى مستقل عن الجسد.
- ومن ثم فإننى لا أستطيع أن أكون على يقين من أننى موجود عندما لا أفكر.
- وعلى ذلك فوجودى يعتمد على تفكيرى.
- وإذن، فأنا من حيث الماهية، شيء مفكر أى أننى نفس، أو ذهن، أو عقل.

الوجود المفكر : -

تعريف الموجودات البشرية هو أنها موجودات كفكر، لا أن لها وجوداً مادياً.

من ذلك أعرف أنني جوهر
ماهيته أو طبيعته كلها هي
بساطة أنه يفكر، وأنه لا يحتاج
إلى أي مكان، ولا يعتمد على
أي شيء مادي كي يوجد.
وبالتالي فهذا «الأنا» متميز تماماً
عن الجسد.



إنها حجة معقدة وهي بالأحرى لها نتائج مذهلة. وإحدى هذه النتائج أن وجودنا يعتمد تماماً على وعينا. وما إن نكفَّ عن التفكير، فإننا عندئذ نختفي.



ومن ثم فإن ثنائية ديكارت تضيف وزناً جديداً إلى الفكرة المسيحية التقليدية التي تقول: إن ذواتنا الحقة توجد على نحو ما مستقلة عن أجسادنا المادية.

مشكلات مع الثنائية الديكارتية :-

من المؤكد - لكن ليس من المنطقي - اننا بسبب عجزنا عن الشك فإننا نفكر، لكن إذا كنا نستطيع أن نشك في أن لنا أجساداً، فإن ذلك لا يبرهن على أن وجودنا منفصل عن أجسادنا، لقد ذهب ديكارت إلى أنه إذا كان هناك شيء يمكن الشك فيه، فلا بد عندئذ أن نفترض أنه كاذب بدلاً من أن يكون غير مؤكد.



ولابد أن يكون ذلك أشبه بقولنا لما كنت أستطيع أن أشك في أن هناك حياة على الكواكب الأخرى، عندئذ فلا حياة على هذه الكواكب. إن ديكارت يستخدم فعل الشك كنوع من البرهان.

حجة أخرى : -

وبعد ذلك، في التأمل السادس يستخدم ديكارت حجة أخرى للبرهنة على أن الموجودات البشرية تتألف من نوعين من الجوهر، يستخدم «قاعدة الوضوح والتميز» من جديد.



وهذه ليست حجة مقنعة، مرة أخرى: بسبب الضعف الداخلي والالتباس والغموض الموجود في «القاعدة» ذاتها.

الموجودات البشرية واللغة :-

يعتقد ديكارت كذلك أن هناك دليلاً تجريبياً ما، على نظريته الثنائية، فالموجودات البشرية تكشف عن تميزها وتفردا بالطرق التي تستخدم فيها اللغة. فالموجودات البشرية لا تشبه الآلات المبرمجة لغوياً.



ربما قلنا في يومنا الراهن أن المرونة والإبداع اللغوي البشري «تخلو من المثير» لأنها نتيجة مباشرة للكيفية المجهزة بها أدمغتنا بفضل تطور تاريخي معقد. أما عند ديكارت فإن مرونة الاستجابات اللغوية البشرية كانت برهاناً آخر على وجود النفس الخالدة المفكرة.

أدمغة أم أذهان؟ -

إذن هل كان ديكارت على حق؟ وهل نحن أنفس خالدة؟ الوعي والتفكير عنده واضحان ومباشران، كما لو كانت أذهاننا دائماً شفافة ومعرضة للفحص. لكن ليس من الواضح على الإطلاق أن التفكير والوعي هما عمليتان غير جسديتين. إذ يقول معظم الفلاسفة وعلماء الأعصاب الآن أننا جميعاً نحتاج إلى أدمغة مادية حتى تقع هذه الأحداث.



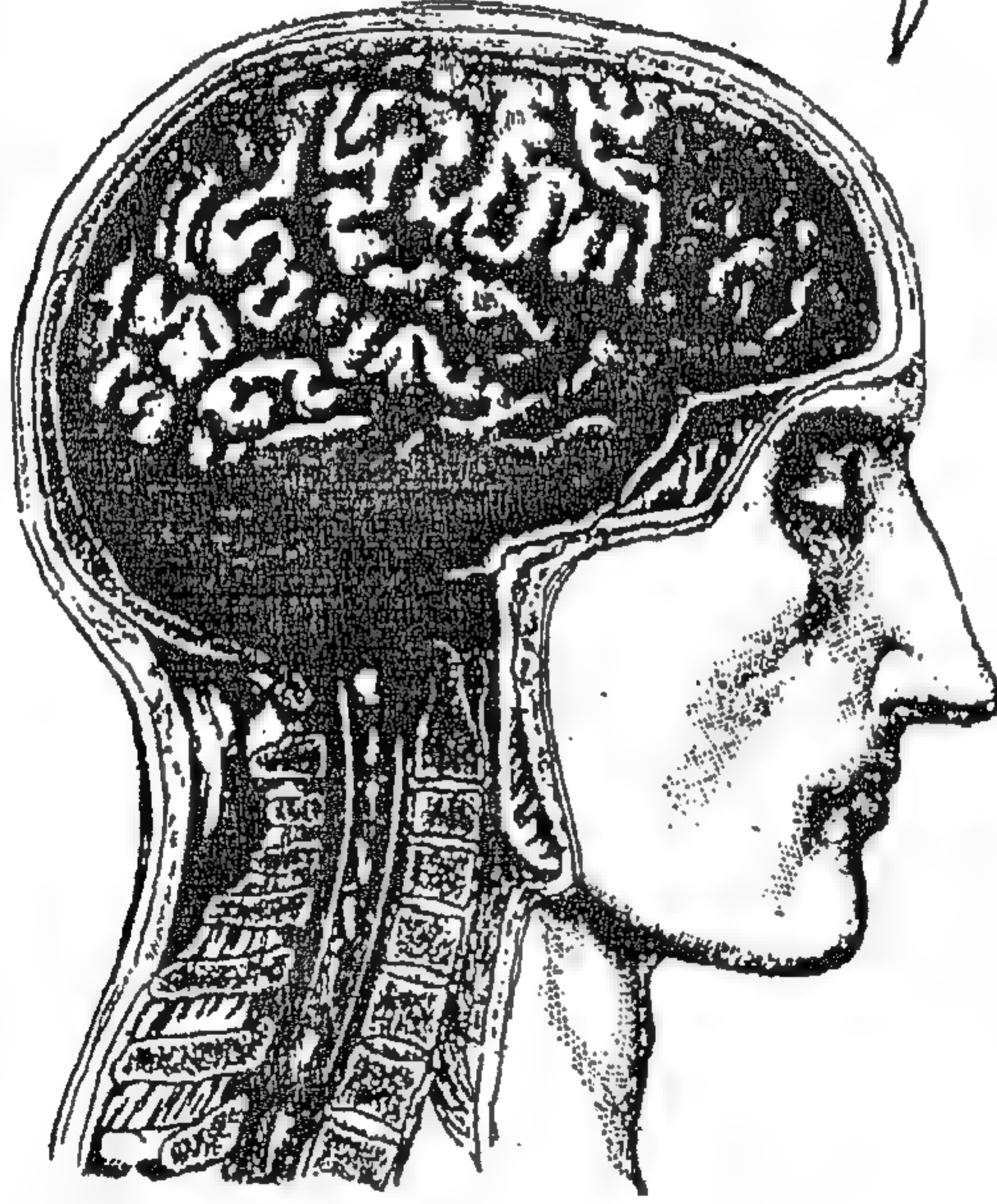
وهذا بالفعل ما يجعل من المحتمل أن يكون التفكير شيئاً مادياً - عن طريق الدماغ أو المخ.

نتائج تلف المخ أو الدماغ : -

يقول علماء الأعصاب الذين يقومون بإجراء تجارب على المرضى الذين يعانون من تلف في المخ: إنه ليس لديهم شك على الإطلاق في أن الأذهان التي تقوم بعملية التفكير هي ظواهر فسيولوجية.

الشخص الذي يعاني من تلف
في مناطق الكلام في المخ كثيراً ما
يعاني من الحُبسة أو فقدان القدرة
على الكلام.

الحُبسة هي العجز عن أداء
وظائف التفكير التي زعم ديكارت
أنها ليست مادية في الأصل.



وهذا يعني أن أي تلف في المخ يفسد عادة، وبقدر عظيم، عملياتنا الذهنية، فإذا توقف الجسد عن الوجود، فسوف يتوقف التفكير أيضاً. ولا يوافق ديكارت على ذلك. فهو يؤكد أن الذهن أو النفس سوف يستمر في أن يكون له أفكار تصورية مجردة بعد فناء الجسد المادي والدماغ (أو المخ)، مما يعني وجود نوع باهت من الحياة الآخرة.

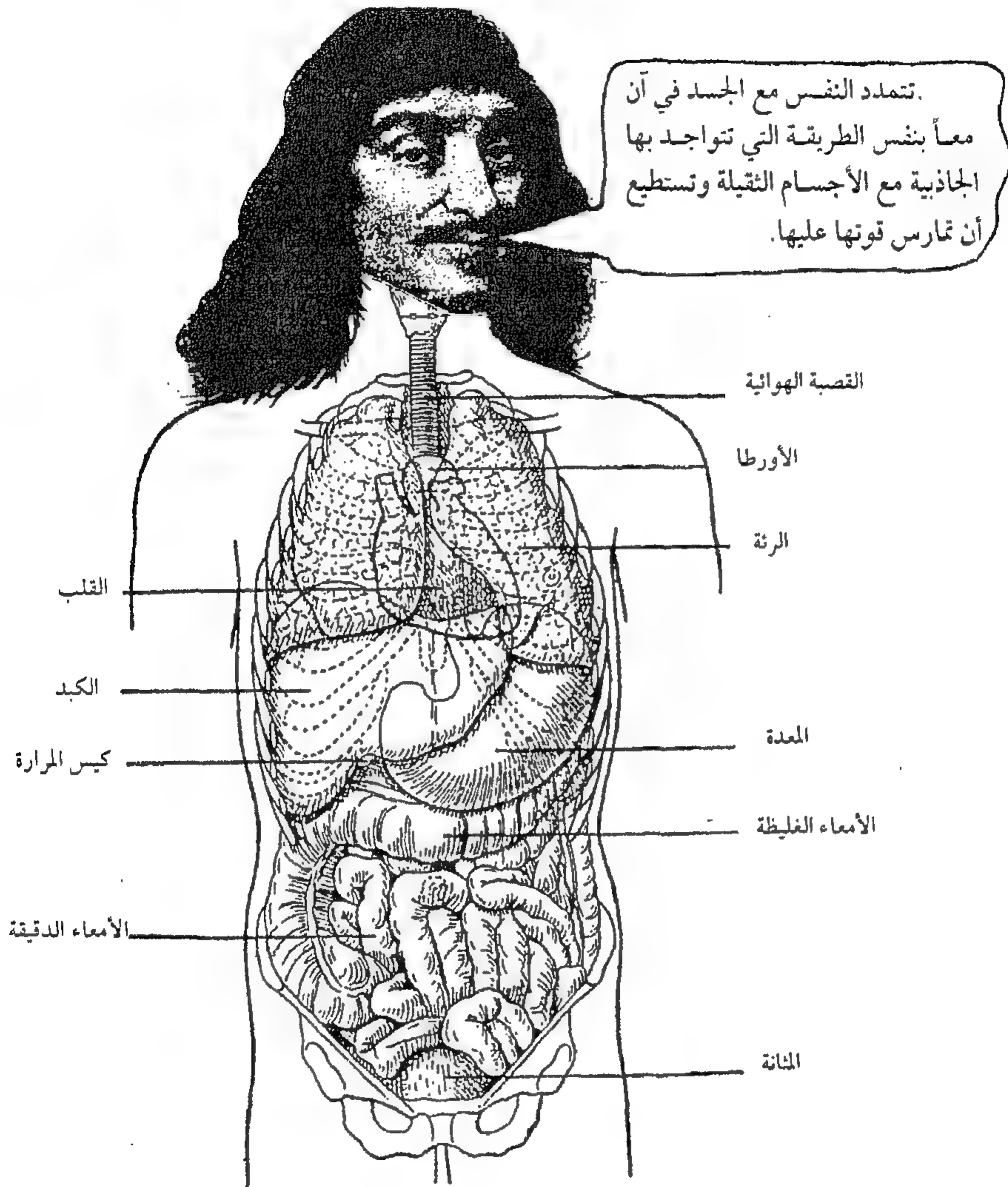
التأثير المتبادل بين الذهن والجسد : -

هناك مشكلة أخرى واضحة أمام الثنائية الديكارتية هي التأثير المتبادل بين الذهن والجسد، فإذا كانت الموجودات البشرية مؤلفة من جوهرين متميزين تماماً، فلا يمكن أن يكون هناك تأثير متبادل بينهما. لكن من الواضح تماماً أن الحدث الذهني أو النفسي كالاختيار مثلاً يمكن أن يتسبب في وقوع أحداث مادية (فإذا ما رغبت في قطعة من الكعك فإنك تمد يدك لكي تتناولها). وكذلك يمكن أن يتسبب الحدث المادي في وقوع أحداث نفسية أو ذهنية. (فإذا ما شعر جسدي بألم نتيجة شكة دبوس في ذراعي، فإن ذلك يظهر بقوة في ذهني).



كيف يمكن للأفكار أن تتدافع؟ ثم كيف يمكن للأحداث المادية مثل الآلام التي يعاني منها الجسد أن تؤثر في الذهن؟ وإذا لم يكن الذهن امتداداً (أي لا يوجد في زمان أو مكان على نحو ما توجد الأجسام) فأين يمكن أن يقع مثل هذا التأثير المتبادل؟.

لقد استسلم ديكارت في النهاية وبحكمة لهذه المشكلة. لكنه حاول في البداية أن يفسر كيف يتم التأثير المتبادل بين أذهاننا (أو أنفسنا) وبين أجسادنا المادية.



ولقد اعتقد ديكارت أن ذلك يفسر سبب إحساسنا بالألم من جرح غائر في اليد بطريقة فورية وقوية تماما. فنحن لا ندرك الألم البشري بطريقة فكرية عقلانية بعيدة عنا، على نحو ما «يدرك» ربان السفينة الثقب في جسد سفينته.

غير أن فكرة الامتداد المتساوي هذه لا بد أن تكون خاطئة، إذا كان الذهن (أو النفس) غير ممتد ولا يوجد في زمان أو مكان. وفي النهاية ذهب ديكارت إلى أنه لا بد أن يكون هناك جزء في المخ يتم فيه هذا التأثير المتبادل.



لكن حتى لو كان ذلك صحيحاً - فإن تحديد المكان الذي يتم فيه التأثير المتبادل بين الجوانب الروحية والجسدية لا يفسر لنا كيف يحدث هذا التأثير المتبادل.

رؤية العالم وسماعه : -

على الرغم من التزام ديكارت، في العادة، برأيه في الثنائية، فقد كان على استعداد لتعديلها بطرق شتى. لقد أصبحت مشكلة التأثير المتبادل بين النفس والجسد أكثر وضوحاً عندما فحص أنواعاً معينة من التجارب الذهنية، كالرؤية والسمع، التي ربما اعتمدت على وجود العالم الخارجي. فتد تخيل ديكارت أن النفس أشبه بشخص صغير «أو قزم» يخبر العالم بواسطة نوع معين من العمليات الداخلية تشبه مشاهدة شاشة سينما داخلية.



كافة تجاربنا الحسية هي «أفكار»
موجودة في هذا العالم الخاص. وهي
كل ما نخبره على نحو مباشر، وعلى
ذلك فليس لدينا اتصال فوري أو
مباشر بالعالم الخارجي.

وذلك تفسير مربك للسمع والرؤية، وأنه لمن عجب أن نتحدث عن إدراك هذا العالم كما لو كان عملية مشابهة للكمية التي نفكر بها عن الأفكار. والأكثر إرباكاً أن ديكارت كثيراً ما يتحدث عن الأفكار كما لو كانت أشياء. ومثل هذا النوع من الحديث قد أدى بالفلاسفة التجريبيين الإنجليز من أمثال جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) إلى متاهة فكرية ولغوية مستحيلة لعدة سنوات.



الإدراك والتخيل : -

اعتقد ديكارت أن التجارب الحسية مؤلفة من عمليات ذهنية ومادية معاً، فالتشك والفهم عمليتان ذهنيتان تماماً وغير فسيولوجيتين، غير أن العمليات الذهنية الأخرى كالإدراك والتخيل تعتمد على تجاربنا السابقة عن العالم.



في استطاعة عقولنا أن ندرك
التصور في الحال، عن الشكل ذو
الأبعاد الاثنى عشر، لكننا كثيراً ما
نجد صعوبة في تخيل صورة ذهنية
عن أحد هذه الأبعاد.

فخيالنا أكثر بطأً وأقل كفاية بسبب أنه يتضمن عمليات فزيقية عادية في المخ.

وينسر ذلك أيضاً لماذا نجد بعض
الإحساسات مثل الجوع والألم تكون
في العادة، ملوثة وغامضة، وتنتقل
إلى وضوح العمليات الذهنية
الخالصة مثل عمليات الشك والنهم.

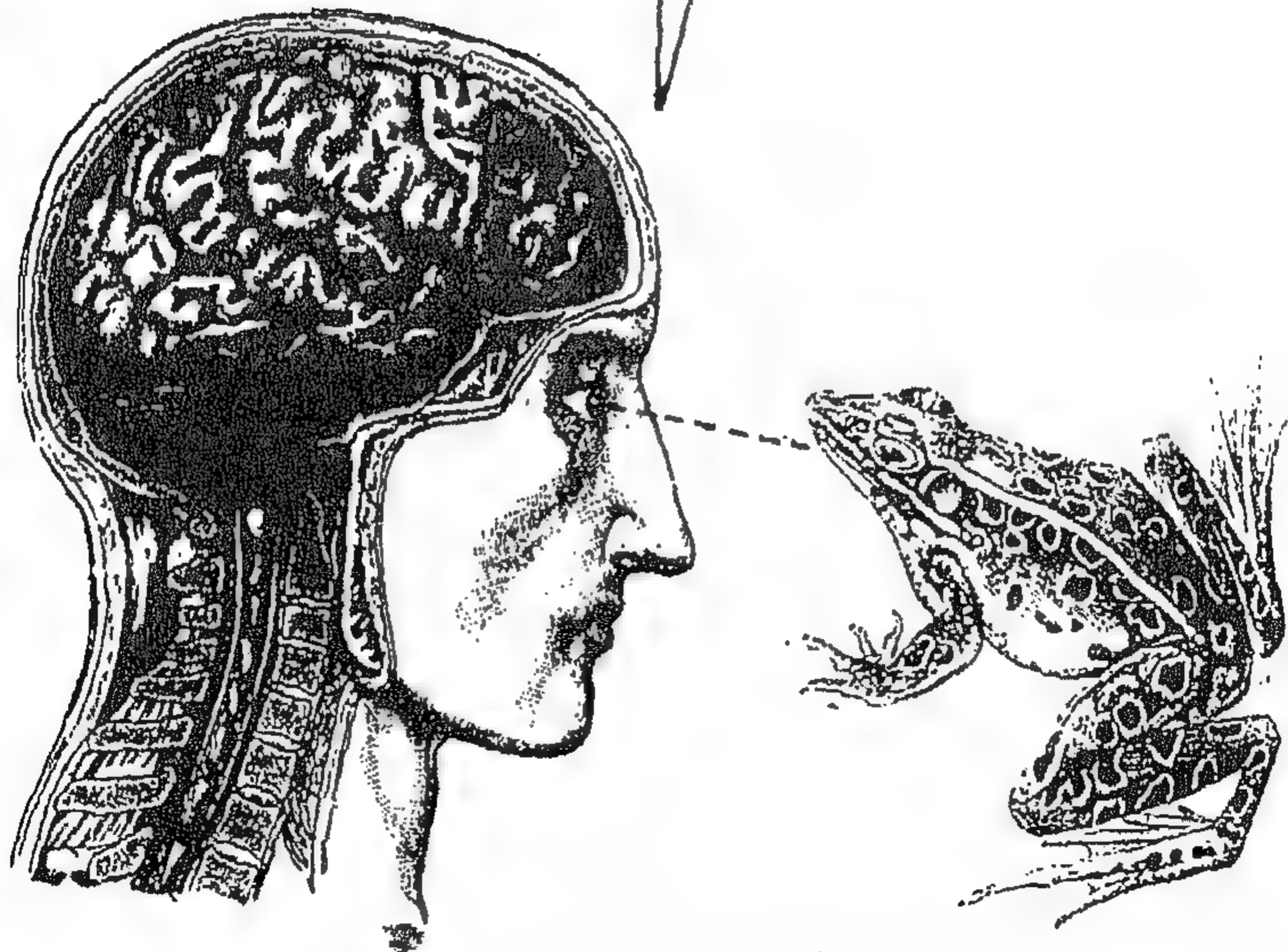


ولذلك كانت بعض الحالات الذهنية تعتمد على الجسد، لكن بعضها الآخر كالشك
هي حالات «خالصة» أكثر ويمكن أن تبقى بعد وفاة الجسد.

الاختبار يفسر الإحساسات : -

لم تكن فلسفة الروح عند ديكارت ثنائية على نحو بسيط وصارم. فبعض عمليات التفكير ذهنية على نحو خالص، وينتمي بعضها الآخر إلى نوع آخر هجين من الفيزيائية - والذهنية. وفي النهاية أخذ ديكارت بنوع تجريبي مؤقت أكثر إتقاناً وهو وجهة نظر «اختبارية» عن العالم والبشر الذين يعيشون فيه. فإذا نظرنا إلى ضفدعة، عندئذ تحدث عمليات فيزيائية معينة في العين وفي العصب البصري وفي المخ. وسوف نخبرنا تجاربنا الحسية عن الضفدعة ما لونها، وما هي الأصوات التي تصدر عنها. وسوف يصدر ذهننا، عندئذ، أحكاماً عن شكلها، وحجمها، ووزنها.. وما إلى ذلك.

تمتلك الموجودات البشرية أجساماً «ممتدة»، وتخضع لتأثير القوى الفيزيائية الموجودة في العالم شأن أي مادة. لكنها موجودات «مفكرة» كذلك؛ ففي استطاعتها أن تشك وأن تصدر أحكاماً، وأن تشهم باستخدام عقولها.



وتمر هذه الموجودات أيضاً بتجارب حسية كالآلم والجوع، والصوت واللون وهي إحساسات تتألف من عناصر فيزيائية - وذهنية في آن معاً.

في نموذج الثنائية المبكرة كانت الحيوانات، والصخور، والأجسام البشرية أشياء خاصيتها الامتداد فحسب، غير أن الموجودات البشرية تمتلك الفكر أيضاً إلا أن إحساساتها تظل بلا تفسير. فيبدو أن الرأي الاختباري أكثر قبولاً.



تظل الصخور وجميع «الأجسام» أشياء ممتدة، لكن الحيوانات هي الآن موجودات ذات إحساسات. أما الموجودات البشرية فهي أجسام ممتدة وتجارب للإحساس، وأذهان غير مادية.

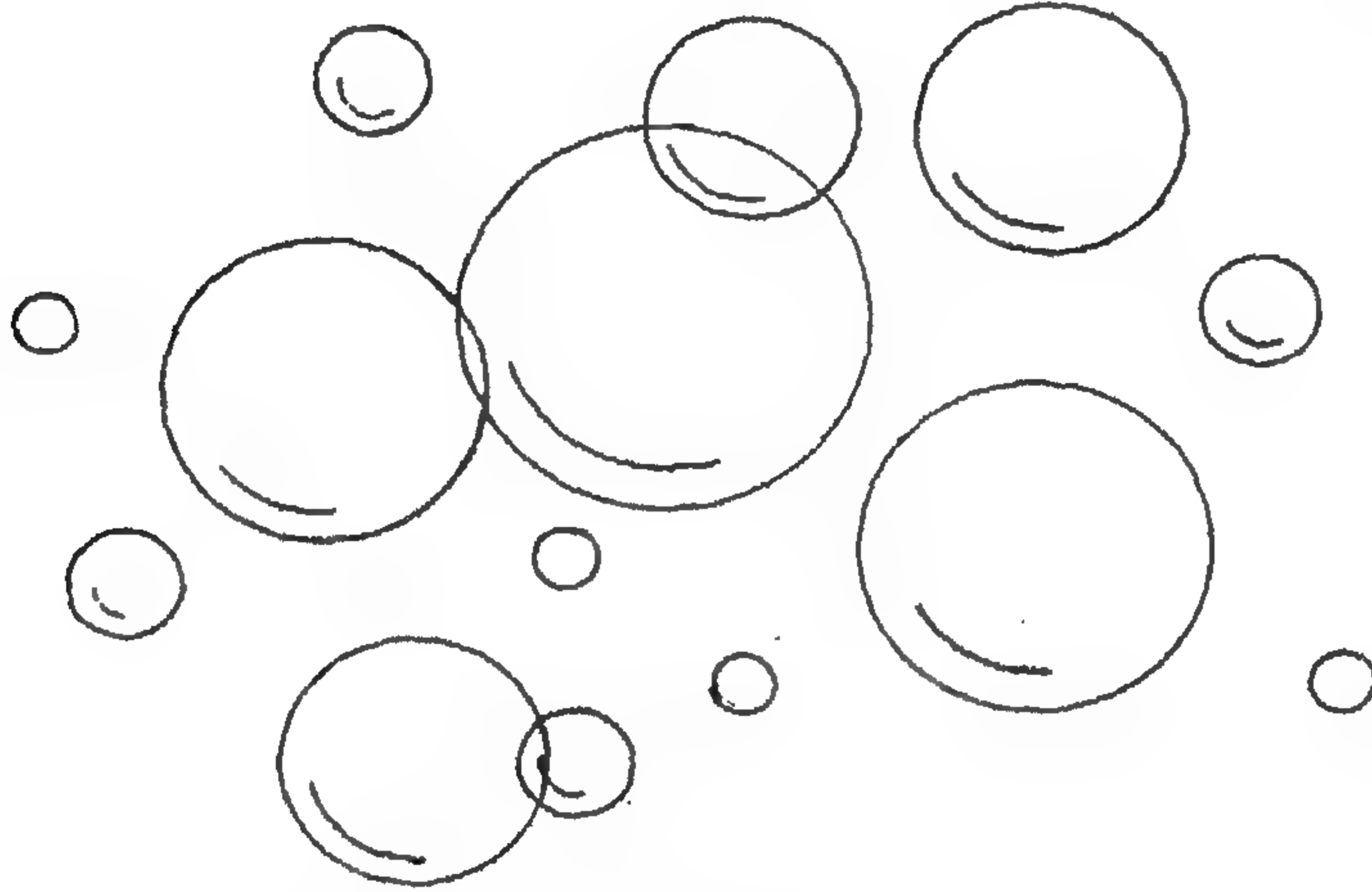
على الرغم من أن لوجهة النظر الاختبارية مشكلاتها، فإنها لا تبدو تفسيراً أكثر مرونة لما تكون عليه الموجودات البشرية بالفعل.



غير أن ديكارت لم يتابع أبداً وجهة النظر «الاختبارية» بأي قدر من الصرامة، فقد ظلت وجهة نظره الأساسية عنا هي النظرة الباردة المجردة لعقول تسكن أجساماً. ولما كنا موجودات بشرية، فإننا لسنا كذلك. بل نحن موجودات تشعر، وتخيّل وتجرب، فضلاً عن أنها تفكر وتوجد. ولا يزال «الأشخاص الديكارتيون» ليسوا - فيما يبدو - موجودات بشرية تماماً بالنسبة لمعظمنا.

فلسفة الروح : Philosophy of Mind

كانت النتائج التي وصل إليها ديكارت غريبة، فقد بدأ تقريباً يضع وحده فرعاً كاملاً من الفلسفة يُعرف الآن بفلسفة الذهن أو فلسفة الروح. لكن الأذهان لا تزال مسألة محيرة، فنحن جميعاً نملك أذهاناً، رغم أن هناك قدراً من الشك حول الفترة التي نملك فيها هذه الأذهان. فلو فكرنا في الأذهان كما لو كانت أشياء مادية في العالم، عندئذ سنجد أن الكيفية التي توجد بها هذه الأذهان تمثل مشكلة كبيرة. لكن من الواضح أن الأذهان موجودة. والأذهان موجودة عند ديكارت بوصفها أنفساً، بطريقة غير ممتدة، وغير فزيقية. وهذا النوع من التفسير للأذهان عند الماديين مُحَبِّطٌ مخيب للآمال، وغير علمي وغيبى إلى أقصى حد.



فلسفة الروح موضوع معقد بحجبها وبراهينها، ويمكن أن يكون فلاسفة الروح واحدتين على وجه ثنائي، أو ماديين، أو من أصحاب نظرية الظاهرة المصاحبة أو نظرية المصادفات أو المناسبات، أو من أصحاب النظرية الوظيفية، أو السلوكيين، المعرفيين، أو حتى «من لا يعرفون». والاتجاهات التي سار فيها هؤلاء الفلاسفة، وأنواع المشكلات التي ناقشوها - هي تقريباً نتيجة لاكتشاف ديكارت الأصلي: «للكوجيتو Cogito»، وأفكاره الخاصة عنه - والمجادلات المختلفة عن الذهن يمكن أن توصف بأنها ألعيب يقوم بها في بعض الأحيان فلاسفة غريبو الأطوار، لكنهم يصلون إلى قلب المشكلة عن كيفية تصورنا نحن الموجودات البشرية لأنفسنا وكيف تلائم أنفسنا مع العالم من حولنا. وربما لم يقدم ديكارت إجابات مقنعة للمشكلات التي أثارها - لكنه بدأ فوضع جدول الأعمال.

فتح باب النقد : -

نشر ديكارت كتاب «التأملات في الفلسفة الأولى» باللغة اللاتينية عام ١٦٤١ وهو يظهرنا، كما بينا منذ قليل، على أن ديكارت انخرط في تأملات شخصية وخاصة يومياً، حول كيفية العثور على أساس مؤكد وموثوق به تماماً للمعرفة البشرية. «التأملات» هي كتاب تفسيري أكثر منه مذهبي. ولقد أصرَّ ديكارت على أنه ينبغي النظر إلى هذا الكتاب على أنه نص مفتوح ليشترك فيه القارئ.

«التأملات»

بقلم رينيه ديكارت هذا الكتاب سوف يغير مجرى حياتك!.



بروح الانفتاح هذه كان ديكارت يراسل عدداً كبيراً من معاصريه الذين كان لهم جميعاً وجهات نظر مختلفة عن الذهن البشري. ولقد نشر انتقاداتهم عن النظرية الثنائية وردوده عليها معاً في قسم من التأملات يُسمى «اعتراضات وردود».

الفلاسفة من أمثال «توماس هوبز» (١٥٨٨ - ١٦٧٩). وبيير جاسندي (١٥٩٢ - ١٦٥٥). ومارن مرسن (١٥٨٨ - ١٦٤٨) - نقدوا ديكارت لأسباب مختلفة، لكنه كان باستمرار على ثقة من أن أفكاره صحيحة.



سوف أكون سعيداً لو أن الناس
قدّموا أقوى الاعتراضات التي
يستطيعون تقديمها، لأنني آمل في
النهاية أن تنكشف الحقيقة على أفضل
وجه.

مشكلة النفس والبدن : -

لا تزال مشكلة الثنائية الديكارتية تكمن - فيما يبدو - في عالمين: عالم الذهن وعالم البدن - مختلفين أتمَّ الاختلاف.



العالم الفيزيقي يتألف من
موضوعات مادية توجد في
الزمان والمكان وتخضع لقوانين
معينة يمكن أن يكشفها علم
الطبيعة.

العالم الذهني مأهول
بالأفكار التي تبدو خارج الزمان
والمكان والتي هي ذاتية وخاصة
وفريدة عند كل فرد.

كيف يؤثر الذهن في المادة أو كيف تؤثر المادة في الذهن؟ لقد قدّم معظم الفلاسفة نظرياتهم الفريدة: الثنائية أو الواحدية للإجابة عن هذا السؤال. فلا شك أن مشكلة النفس والبدن شغلت أذهان فلاسفة القرن السابع عشر انشغالاً عظيماً جداً، فخرجوا بحلول مختلفة ومتنوعة تبدو، في العادة، أكثر لاهوتية منها فلسفية.



ومع ذلك فهذان العالمان يؤثر
كل منهما في الآخر لكن لا يزال من
غير الواضح كيف يحدث ذلك.



بعض الإجابات العجيبة : -

إحدى الإجابات البالغة الغرابة هي نظرية المصادفات أو المناسبات التي قال بها وأشاعها نيقولا مالبرانش (٦٣٨ - ١٧١٥) فقد فسر كيف يتم التأثير المتبادل بين الذهن والبدن - ببساطة - بأن أنكر أنهما يعلان ذلك.



الآفكار الذهنية والأفعال الفزيقية يتوافقان فحسب، لكن أحدهما لا يؤثر في الآخر.

الحل الذي قدمه اسبنوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) هو على نفس الدرجة من الغرابة. فقد ألقع اسبنوزا عن فكرة «الجوهرين» عند ديكارت، وأخذ بالنظرة الواحدية، أو «الجوهر الواحد» فقال: بنظرية ذات الوجهين التي تؤكد أن الأحداث الذهنية والفيزيقية هي مجرد أوجه مختلفة لنفس الوجود الذي يتحول ليصبح الله.



وهذا هو السبب في أن الذهن والبدن يوجدان في حالة مستمرة من التنسيق والتساوي في الرتبة.

وقد عماد ج.ف. لينبترز (١٦٤٦ - ١٧١٦) إلى تعديل طفيف في فكرة مالبرانش فقال بنظرية تسمى أحياناً نظرية «التوازي السيكو-فيزيقي» وشرحها على النحو التالي: تخيل أن هناك ساعتين مضبوطتين في تزامن واحد لتنبئنا بالوقت. ستبدو الساعتان كما لو أن إحداهما تؤثر في الأخرى لتنبئ بالوقت مع أن الساعتين منفصلتين تماماً. ونفس الشيء يصدق على الأذهان والأجسام التي تبدو دائماً مترابطة.



نظرية المصادفات أو المناسبات تأخذ بهذه الإجابة، لكنها فيما يبدو تعتمد على الله، بينما يذهب لينبترز إلى أن الله هو الذي يصنع التناغم والانسجام بينهما منذ اليوم الأول، ثم يكف عن التدخل.

أما نظرية الظاهرة المصاحبة فهي كذلك نسخة غريبة من الشائبة، فهي تذهب إلى أن التأثير يأخذ طريقاً واحداً فحسب، فالأحداث الفيزيكية الموجودة في البدن تؤثر في الأحداث الذهنية، لكن الأحداث الذهنية لا تؤثر أبداً في الأحداث الفيزيكية.



إن ذهني ليس سوى «ظاهرة مصاحبة» مناسبة وربما مريحة، وهي وجهة نظر غريبة، لأنها تعني أن الموجودات البشرية ليس لديها شيء اسمه الإرادة الحرة. وأن السببية يمكن أن تعمل في اتجاه واحد فحسب.

كيف يتطور المخ إلى الذهن؟

منذ البداية الأولى، أصاب القلق كثير من العلماء والفلاسفة بشأن نموذج الذهن عند ديكارت بسبب افتراضاته الميتافيزيقية. فالموجودات البشرية كانت من الحيوانات الرئيسية التي تطورت عبر الزمان. ولقد وجد كثير من العلماء المحدثين أن من الصعب قبول فكرة أن الموجودات البشرية هي النوع الوحيد الذي يمتلك أذهاناً غير فزيقية أو أن هذه الكائنات الروحية العجيبة قد تطورت من بدايات فزيقية.



في استطاعتنا أن نؤكد أن جميع أشكال الحياة تمتلك أنفساً أو أذهاناً بدرجة ما، على الرغم من أنه يبدو من الصعب قبول ذلك لا سيما عندما ننظر إلى أشكال الحياة الدنيا مثل العنكبوت.



لقد شهد القرن العشرون نجاحاً للعلم المادي فزعم أن كل شيء يمكن تفسيره من منظور الكائنات والقوى المادية. لكن المثير في الأمر أن الأذهان لم تُدرس بهذه الطريقة.



علماء الأعصاب سعداء عندما يتحدثون عن نقطة اشتباك الأعصاب في المخ، لكنهم يختلط عليهم الأمر بسبب الصعوبة عندما يحاولون تفسير كيف تسبب الأفكار أفعالاً فيزيائية.

ما هو الوعي..؟

ينبغي أن يكون الوعي نفسه ظاهرة بيولوجية، لقد تطورنا كموجودات بهذه الخاصية. ومع ذلك فيبدو أن الأمر مختلف تماماً بالنسبة لبعض عملياتنا الفيزيائية الأخرى: كالنمو والهضم وهو مختلف بسبب ذاتيتها وتفردها.



ومع ذلك فيبدو من المحتمل أن عمليات المخ الفيزيائية هي التي تتسبب في وجود الوعي، رغم أن «كيف» و«أين» يتم ذلك ما زال سراً غامضاً تماماً. كما أنه لا يتضح تماماً لماذا تحتاج الموجودات البشرية إلى الوعي في المقام الأول. ويعتقد بعض العلماء الآن أن العلم ربما كان قادراً على تفسير الوعي إذا ما تحول إلى شيء مثل «نظرية الكمات» التي تنحل عندها قوانين السببية المألوفة.

جوانب من الوعي : -

وعلى ذلك، فإن الكوجيتو يعتبر مشكلة كبرى، فمن المؤكد أنه لا يبدو «واضحاً» ومتميزاً» كما ظن ديكارت. والوعي عند كثير من الناس يشبه نوعاً من «النور الداخلي» الذي يحدد: «ما الذي أشبهه أو أكونه أنا». وهناك فيما يبدو سمات أخرى مثل: الوحدة، والقصدية، والقدرة الرئيسية، والسطحية، والرغبة في إدراك الشكل، والحاجة إلى الألفة. وعندما نكون واعيين فإننا نخبر كل شيء في نفس الوقت بطريقة موحدة.



للوعي عادة مضمون أو قصدية - فهو يتجه نحو شيء ما.



عندما ترفع عينك عن الكتاب وتنظر إلى الغرفة فإنك تدركها ككل لا على أنها أجزاء متفرقة من الأثاث والجدران، وتعرف ما الذي تنظر إليه، لأنك تألف أنواع الأشياء الموجودة كالمقاعد وورق الحائط الملصق..

أدمغة لا أذهان : -

وهكذا نجد أن الوعي متعدد في إنجازاته، - لكن أهو كيان ديكارتي غير مادي أم أنه شيء أرضي مادي؟ يزعم كثير من علماء الأعصاب أن جميع الأحداث الذهنية يمكن تفسيرها من منظور فزيقي.



لكن مهما كانت الصعوبة في أن يفعلوا ذلك. فهناك، بطريقة ما، كثرة من جوانب المشاعر البشرية، والمعتقدات والآلام، يبدو أنه لا يمكن تفسيرها بهذه الطريقة المختزلة. فالموجودات البشرية يبدو أنها ثنائية بطريقة لا هوادة فيها بالطرق التي يفكرون فيها في أنفسهم. وقد يزعم الماديون تفسير الذهن والتفكير، عندما يكون ما يحاولون تفسيره في الواقع هو أشياء غير مناسبة مثل خروج الوعي من الوجود.

السلوكيون : -

الطريقة السلوكية للخروج من «مأزق الذهن» هي الإنكار الفعلي لوجود الذهن تماماً.



أن تكون حزيناً بمعنى البكاء والنواح فهو ليس حدثاً ذهنياً خاصاً. فليس هناك «الإله في الآلة»^(١) على حد تعبير الفيلسوف السلوكي جلوبرت رايل (١٩٠٠ - ١٩٧٦) فالسلوكيون يؤمنون أن تصور الموجودات البشرية على أنها «أنفس في أجساد» هو نوع من الخطأ الفاضح. تماماً مثلما نخلط بين «أيام الثلاثاء» و«المناسد».

(١) تعبير مأخوذ من المسرح اليوناني عندما كانت أحداث المسرحية تتأزم فيهبط تمثال لأحد الآلهة بحبل في سلة لحل الموقف. وهو يعني - بصفة عامة - حل المشكلة بطريقة خرافية (المترجم).

مشاكل أمام السلوكيين : -

لكن لو صحَّ هذا التفسير السلوكي للموجودات البشرية، فانه لن يكون هناك فرق أو اختلاف بين شخص حزين فعلاً وشخص آخر يتظاهر أنه حزين. والشخص المشلول الذي لا يستطيع أن يعبر عن سلوكه ربما لن تكون له حياة ذهنية. كما أن السلوكيين يتجاهلون أيضاً الكيف.. فما الذي نشعر به فعلاً في حالة ذهنية معينة؟



هذا أمر غير ممكن فحسب عند السلوكيين - لأن الاعتقاد والسلوك مترادفان. والنموذج السلوكي غير مقنع. فالشعور بالألم شيء لكن السلوك الذي نربطه بالألم هو شيء مختلف أتم الاختلاف.

الفزيكاليون Physicalists^(١)

المفكر الفزيكالي Physicalist هو المنظر الذي يوحد بين الذهن والبدن في هوية واحدة ويؤمن أن الأحداث الذهنية والأحداث الفزيقية شيء واحد. فإذا فكرنا في ديكارت وهو يزرع الخضروات فإن ذلك ليس أكثر من حالة جزئية معينة من حالات المخ. والقول بأن «الذهن» و«المخ» مختلفان والحديث عنهما بطريقة مختلفة يشبه بالأحرى شخصاً يتحدث عن «البرق» و«تفريغ الشحنات الكهربائية» معتقداً أنهما شيئان مختلفان في حين أنهما شيء واحد.

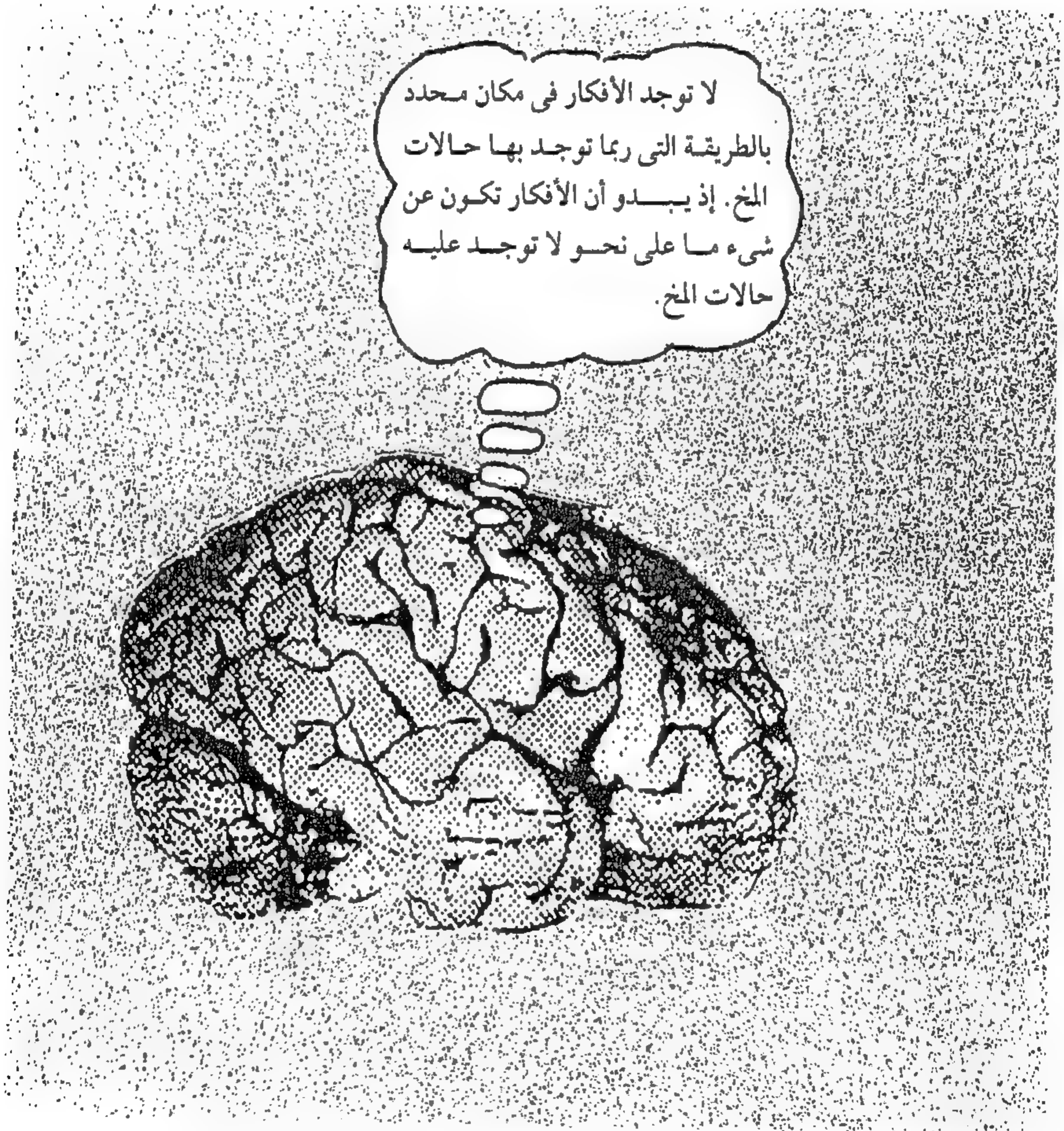


يستطيع عالم الأعصاب، من حيث المبدأ أن يزودنا في النهاية بتفسير لحالة المخ وأنا أفكر في ديكارت وهو يأكل الجزر بوصفه «نشاطاً يحدث في القطاع رقم B ١٣٧٤ من المخ.

(١) هم المفكرون الذين يقولون بتسلط القوى الجسدية على العقلية (المترجم).

مشكلات : -

المشكلة التي تقف أمام هذا التفسير تكمن في تعبير «من حيث المبدأ» فعلماء الأعصاب حتى الآن لم يقتربوا في أي مكان من هذا النوع من المعرفة التفصيلية التي تحدد أين تقع الأفكار في المخ. ورغم ذلك فإننا جميعاً كأفراد لدينا اتصال واضح ومباشر بأفكارنا الخاصة، فالأفكار والمخ عمليات لا تبدو أنها من نوع الأشياء على الإطلاق.



والأفكار الفردية كذلك لا يبدو أنها تقبل القسمة، أو يمكن أن تقاس بالطريقة التي ربما تكون عليها حالات المخ بوصفها ظواهر فزيقية.

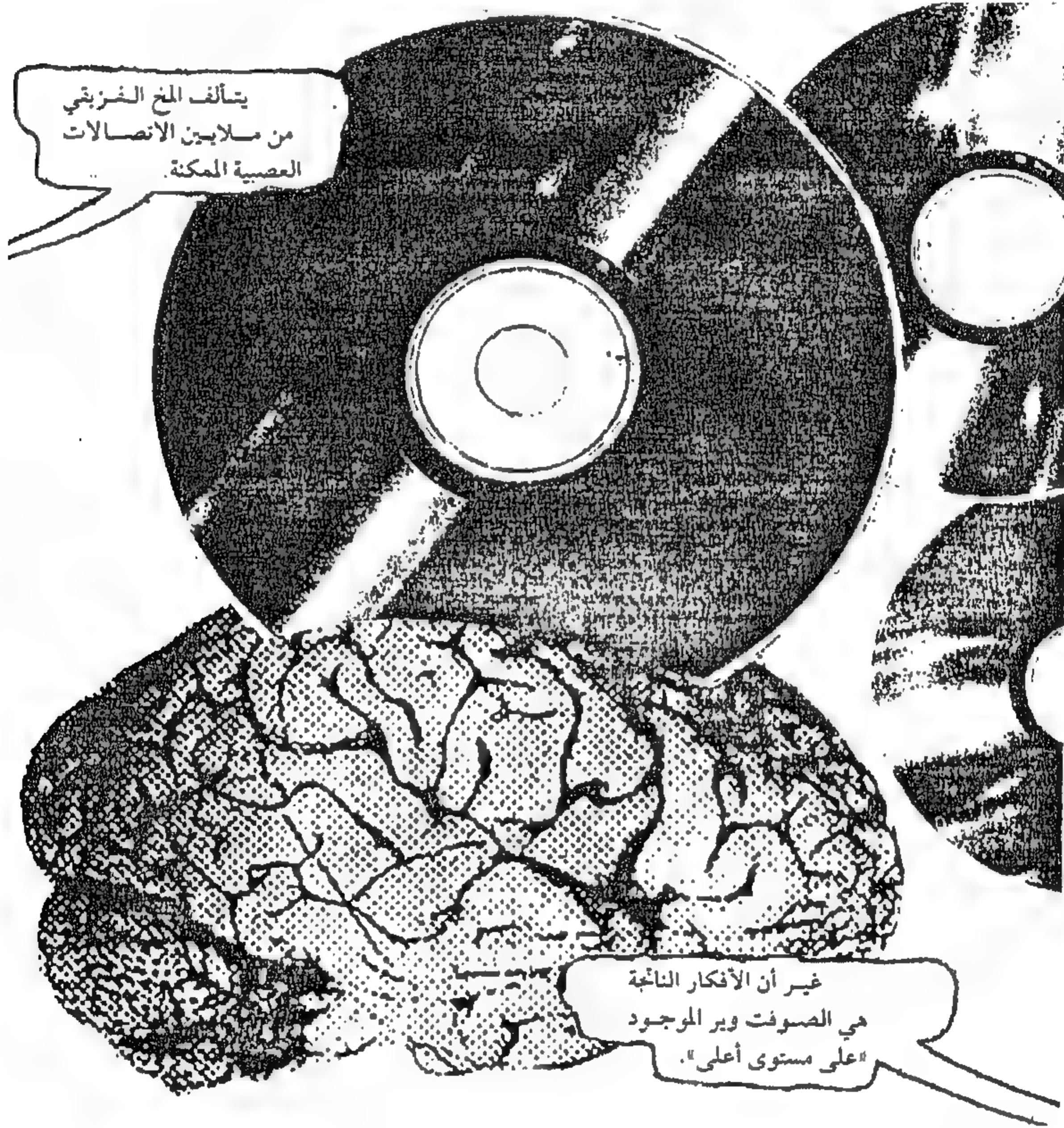
عندما نخبر مشاعرنا الخاصة كالآلم والرغبة (تلك الكيفيات مرة أخرى) نجد أنها فريدة بالنسبة لنا.



تحاول نظرية الهوية الرمزية أن تدور حول بعض هذه المشكلات بأن تذهب إلى أن الأفكار الفردية يمكن أن تكون رمزية (أمثلة فردية) من نوع (الأنواع التي تتحد مع حالات المخ في هوية واحدة). وهذا يعني أن الموجودات البشرية المتحدة اتحاداً شاملاً يمكن أن يكون لها أدمغة متحدة يوجد بها حالات المخ المتحدة. ومع ذلك فلديها أفكار مختلفة اختلافاً مطلقاً. ولو كانت تلك هي الحال عندئذ تظل العلاقة بين الفيزيقي والذهني غامضة ومحيرة تماماً.

النظرية الوظيفية : -

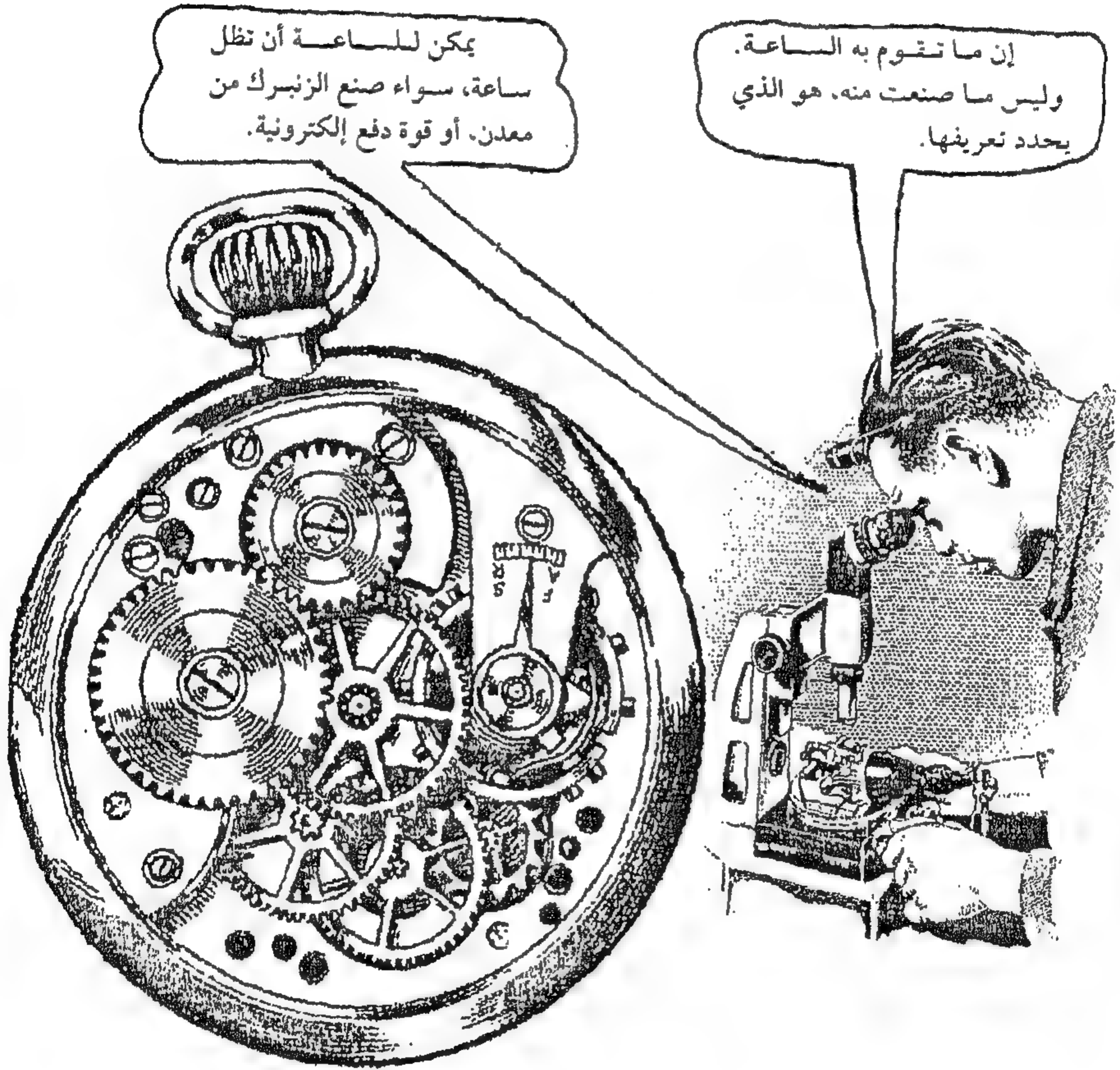
النظرية الوظيفية هي أحدث محاولة للإجابة عن المأزق الذي تعبر عنه الأسئلة الآتية: ما هو الوعي؟ وما هي الأفكار؟ وكيف يمكن تفسيرها؟ ولقد استثمرت النظرية الوظيفية بمائلة مألوفة الآن في أجهزة الكمبيوتر: فذهب إلى أن الأفكار البشرية تشبه «الصفوفت وير Software» الذي يقوم به «الهارد وير» Hard ware - أو المخ البشري^(١).



إن «الصفوفت وير» الذهني هو الأمر الحاسم وليس نشاط المخ الفيزيقي، والأفكار التي تشبه الصفوفت وير ليس لها محل مكاني فإذا تساءلت أين توجد الأفكار، فذلك يشبه تساؤلك: أين توجد موسيقى «القداس» لموتسارت.

(١) تعبيرات مستمدة من عالم الكمبيوتر: «الصفوفت وير» هو البرامج المعدة للاستخدام، أما «الهارد وير» فهي أدوات الجهاز نفسه، الأولى تشبه «الأفكار» والثانية تشبه «المخ». (المترجم).

ولا يزال أتباع النظرية الوظيفية ماديون، وإن كانوا يوسعون ما يُنظر إليه عادة على أنه «مادي» أو «فيزيقي» بأن يضعوا مكانه «بني» أو «انساقاً»، بدلاً من المادة. ويشددون على أن كلمة «يوجد» لا تعني بالضرورة نفس ما تعنيه كلمات «المرئي» أو «اللموس». فالإفكار والوعي توجد على نوع من المستوى الأعلى والأكثر تصورية. تماماً مثلما يوجد برنامج «الصوفت وير». والحالات الذهنية هي «ذهنية» بسبب علاقاتها السببية.



ويصدق الشيء نفسه على الأفكار والوعي؛ فهما معاً موجودات في المخ البشري. لكنهما يستطيعان أن يوجدان بالمثل - وعلى نحو جيد - عن طريق بعض الأنواع الأخرى من الوجود الغريب، أو الآلة المتقنة المجهزة بالنسبة لنا تجهيزاً مختلفاً أتم الاختلاف أن «الصوفت وير» وليس «الهارد وير» هو الذي يحدد الأفكار.

مشكلات : —

ويبدو ذلك كله معقولاً تماماً، لكن في نهاية الأمر. لا يزال أتباع النظرية الوظيفية يؤكدون أن شيئاً ما يشبه الاعتقاد البشري هو الذي يرتد في النهاية ويختزل إلى حزمة من الأعصاب المتقدة التي تحدث النوع الصحيح من العلاقات السببية. أن الحالات الذهنية هي حالات وظيفية والحالات الوظيفية هي حالات فزيقية.



هذه المحاولة لدفع معاني «المادي» و«الفزيقي» إلى أقصاها هي أن أحدث محاولة للهروب من صوفية الشائبة وأسرارها، ومن المشكلات الواضحة للمذهب السلوكي، والمذهب الفزيقي.

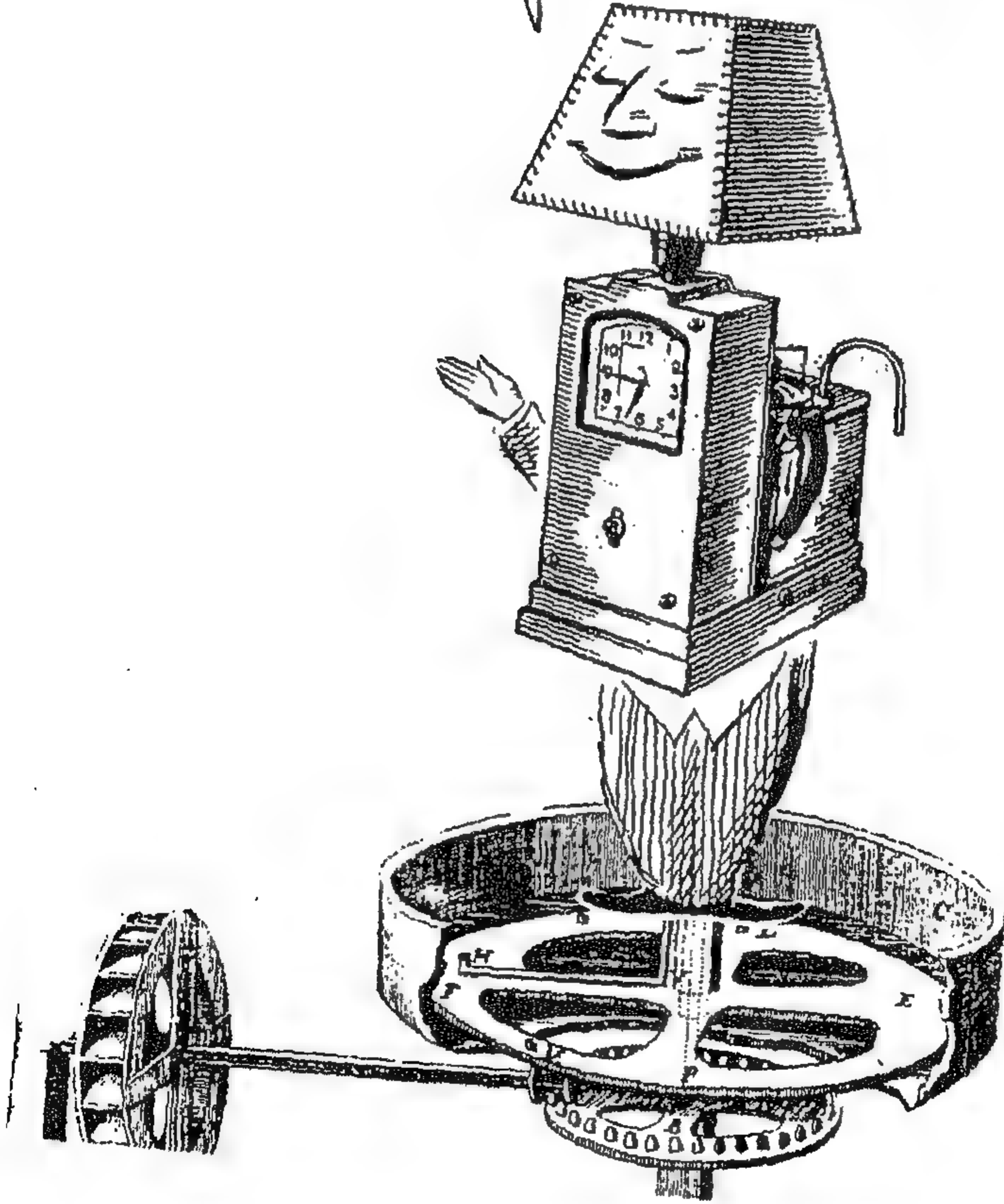
البشر والكمبيوتر : -

أثارت النظرية الوظيفية أيضاً مسألة ما إذا كان الكمبيوتر يستطيع حقاً أن يفكر ويشعر أيضاً. فإذا كان برنامج «الصوفت وير» هو الذي ينتج الوعي أو الشعور وإذا ما كانت طبيعة «الهارد وير» الفيزيقي المتضمنة غير مناسبة، إذن ربما استطاع الكمبيوتر في النهاية أن يصبح واعياً. لقد كانت فكرة إمكان تفكير الآلات فكرة اهتم بها ديكارت. فقد كان يعتقد أنه ربما كان من الممكن صنع آلة ذاتية الحركة تشبه البشر، ويبدو، على السطح، أنها تفكر وتستخدم لغة تشبه لغتنا.



لكن لا يمكن أن نتصور أن مثل هذه الآلة يمكن أن تنتج ترتيبات للكلمات بحيث تزودنا بإجابة مناسبة ذات معنى عما يقال في حضورها، كما بنعل أكثر البشر غباءً.

حتى رغم أن مثل هذه الآلات قد
تقوم ببعض الأشياء مثل ما نفعله نحن،
وربما على نحو أفضل، فإنه لا مندوحة
لها عن أن تفتشل في القيام بأشياء
أخرى، لا بد أن تكشف عن أنها لا
تفعل ما تفعله نتيجة فهم، بل فقط عن
طريق استعداد أعضائها.. فالعقل
وسيلة كلية عامة يمكن استخدامها في
جميع أنواع المواقف.



هل يمكن للكمبيوتر أن يفهم ؟

يبدو أن ديكارت قد توقع العديد من المناقشات الدائرة في القرن العشرين حول الذكاء الصناعي. ومن المحتمل أنه كان سيوافق الفيلسوف «جون سيرك» (ولد عام ١٩٣٢) الذي ذهب إلى أن الكمبيوتر يستطيع التعامل مع المعلومات والبيانات بكفاءة عالية، لكنه لن يستطيع أن يفهم قط بالطريقة التي تقوم بها الموجودات البشرية.



إذا نظرنا من الخارج فيبدو كما لو أن الرجل فهم اللغة الصينية، لكنه في الواقع لم يفهمها.

生。該會認為，基本法在現階段不適宜硬性規定由直接選舉及功能組別選舉所產生議席的例。該會並建議選舉及功能組別均各不少於全部三分之一，而市區區議會、市

駐港該份建議遠來說，立法應全部由直接

الكمبيوتر يشبه رجل لا يتحدث اللغة الصينية سجن في غرفة وتلقي سلسلة من الأحرف الصينية فأعاد تنظيمها ثم أرسلها طبقاً لمجموعة من القواعد.

法政策不變

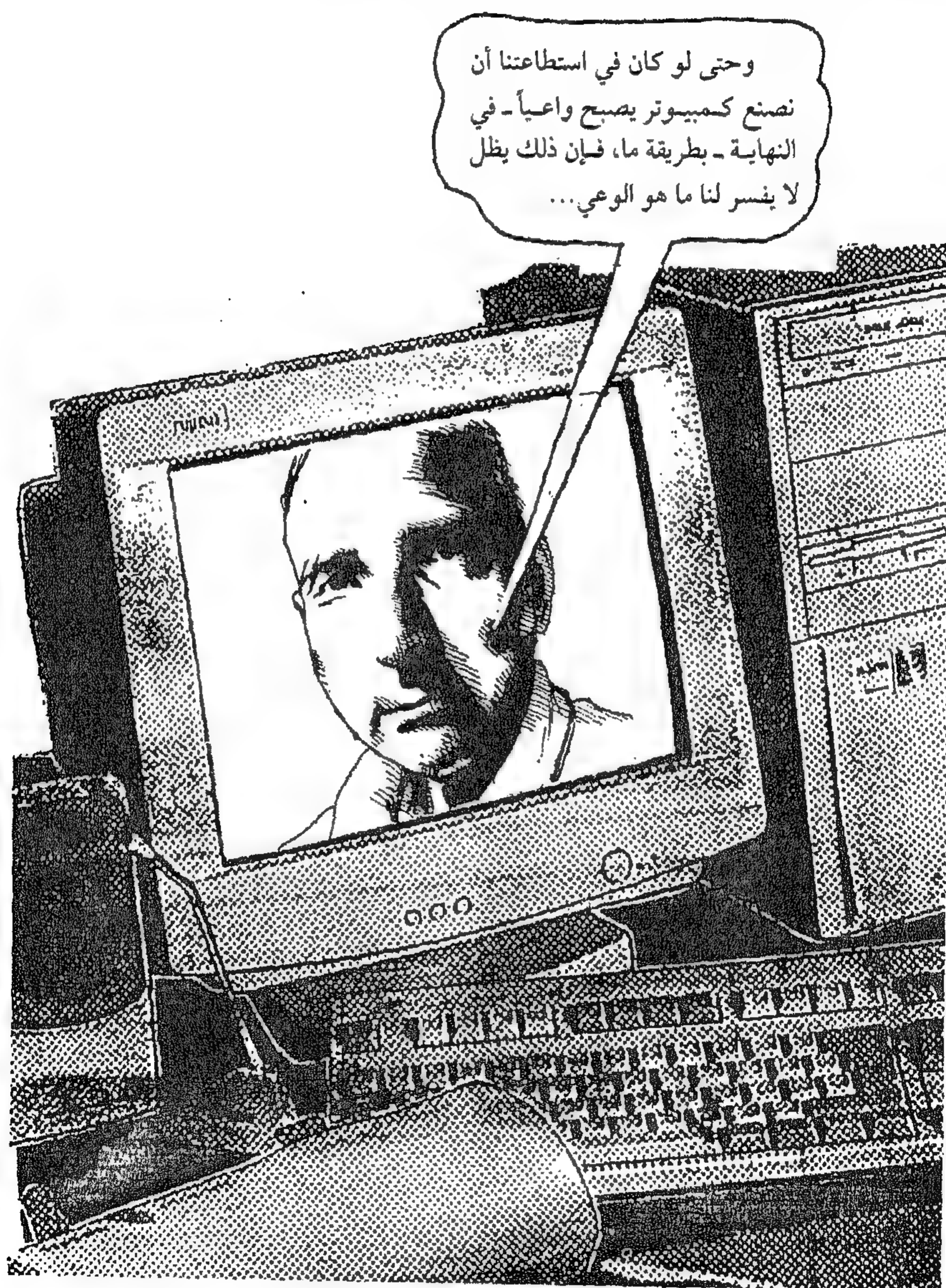
續收容難民

(本報專訊)法國駐港領事蘇旭陸昨日表示，法國過去收容了二十五萬名亞洲區的難民，該國政府今後仍會繼續收容難民。蘇旭陸昨日出席扶輪社午餐會後表示，法國政府仍收容亞洲地區的難民，但要視乎每一個個案而定。只要難民有親屬在法國，則他被

法法選出。按社聯之意見，立法機關應有制訂法律、通過財政預算及監察政府權力，並可彈劾違行政長官及主要官

中央社利馬三最新一期的傾道，一個總部

وكذلك الكمبيوتر يبدو كما لو أنه يفهم الأفكار والخواطر، لكنه لا يفعل ذلك في الواقع. وعلى ذلك فعلى الرغم من أن التشبيه بالكمبيوتر والنظرية الوظيفية يمكن أن يزودنا بطرق جديدة للهروب من مأزق الثنائية، فإنهما لا يزالان لا يثبتان بالقصة الكاملة عن الذهن أو الأفكار، وكيف يمكن أن ترتبط بالمشخ الفزيقي.



من المؤكد أن الاعتقاد يبدو غريباً ، بأن الآلة، حتى ولو كانت مجهزة تجهيزاً بارعاً بمجموعة من الدوائر الكهربائية يمكن أن تمر بتجربة الألم من داخلها، وبطريقة عميقة ومزعجة، بالطريقة التي نمر بها نحن الموجودات البشرية. فالموجودات البشرية تختلف عن كل شيء آخر في العالم، بالضبط بسبب منظورها للشخص الأول.

إننا جزء من العالم الفيزيقي
لكن ربما لم يكن من الممكن أن نرتد
إليه كنوع من منظور «الشخص
الثالث».



تبدو ظواهر الوعي والتفكير في الوقت الراهن تتجاوز إدراك كل من الفلاسفة والعلماء معاً. وكثيراً ما تبدو النظريات الحديثة عن الذهن تشبه أكثر محاولات لتجنبها بوصفها مشكلات، وربما لأنها لا يمكن حلها على الإطلاق. وربما كان ديكارت هو الذي يضحك الضحكة الأخيرة. ويبقى الكوجيتو عنده على نفس القدر من الغموض الذي كان عليه.

المبادئ : -

فى عام ١٦٤٣ بدأ ديكارت مراسلاته مع الأميرة إيزابيث أميرة بوهيميا التى كانت هى نفسها تعيش فى المنفى فى هولنده. وكانت فتاة فى الرابعة والعشرين من عمرها على درجة عالية من الذكاء، أثارت ديكارت بالكثير من الأسئلة المزعجة حول رأيها فى العلاقة بين الذهن والبدن، والعقل، والعواطف، والأخلاق.

وفى عام ١٦٤٤ نشر ديكارت آخر كتبه العظيمة وهو كتابه «مبادئ الفلسفة» وفيه قدم تفسيرات للميتافيزيقا، وعلم الطبيعة، والكون الفزيقى.



لقد رفض ديكارت بقوة كثيراً من نظرية أرسطو الغائية (التي افترض فيها أن لكل شىء علة غائية من وجوده) كما أنه ذهب أيضاً إلى أن الأرض هى التى تدور حول الشمس، وليس العكس.

التقاعد :-

قام ديكارت بعد ذلك بالإشراف على ترجمة كتابيه «التأملات» و«المبادئ» من الأصل اللاتيني. (كانت اللغة اللاتينية لا تزال هي اللغة المستخدمة بصفة عامة في الدراسات الأكاديمية في جميع أنحاء أوروبا). وقضى البقية الباقية من حياته في الريف الهولندي، يأكل الخضروات من حديقته الخاصة ويراسل أصدقاءه.



فى عام ١٦٤٨ زار باحث شاب يدعى «فرانز بيرمان» الفيلسوف الذى كان فى الثانية والخمسين من عمره، ودون فى تقرير جميع محادثاته مع ديكارت.



وفى عام ١٦٤٩ كتب ديكارت آخر كتبه «رسالة فى انفعالات النفس» وهو كتاب
عن «الأخلاق، والحياة الصالحة».

ديكارت والأخلاق : -

مما يدعو إلى الدهشة أنه لم يكن لدى ديكارت ما يقوله في مؤلفاته الفلسفية إلا أقل القليل عن الأخلاق والسياسة، وربما كان حكيماً في ذلك. لكنه كان مهتماً بنوع من الحياة نحتاج إليها لتقودنا إذا ما أردنا العيش في سعادة وهناء. لقد كان مؤمناً عظيمًا بالعلم الذي كان يعتقد أنه سيفيد البشر على المدى البعيد بأن يمكنهم من الحياة في صحة أفضل وحياة أطول.



في كتابه «رسالة في انفعالات النفس» أكد ديكارت أن الانفعالات والعواطف كالحب، والرجبة، والكراهية والفرح.. هي خبرات تنشأ في النفس، لكن يسببها البدن.

وهذا يعنى أننا لابد أن ندرّب أنفسنا على قهر هذه الأحداث الفسيولوجية بممارسة قوة الإرادة عندنا، فإن استطعنا أن نفعل ذلك عندئذ لن تكون حياتنا مضطربة أبداً وسوف تزداد معارفنا بسرعة.



ويبدو الأمر كسولاً غيبياً تماماً، وربما كانت نظرة مسرفة في تشاؤلها عن طبيعة الموجودات البشرية، وعمّا يستطيعون إنجازه. وفي القرون التي انقضت منذ أن أخذ ديكارت يفكر، كانت الموجودات البشرية، فيما يبدو، عاجزة عن السيطرة على انفعالاتها الطاغية الهدّامة. وفضلاً عن ذلك فقد استخدموا العقل والعلم قدر استطاعتهم لخدمة هذه الانفعالات المدمرة بدلاً من السيطرة عليها.

دعوة إلى إنجلترا : -

كان ديكرت على وشك القيام برحلة إلى إنجلترا عام ١٦٤٠ بدعوة من «سير تشارلز كافنديش». وتقول إحدى الروايات: إنه قام برحلة قصيرة عام ١٦٤١ لكن ذلك غير صحيح فيما يبدو. بل يبدو أنه طرح تماماً فكرة زيادة إنجلترا.



دعوة إلى السويد : -

ظل ديكارت يراسل «كريستيانا» ملكة السويد لعدة سنوات. وفي عام ١٦٤٩ قبل دعوتها - ربما من باب الراحة - ليكون معلمها الخاص في الفلسفة. وكانت الملكة كريستيانا سيدة مثقفة غريبة الأطوار.



كانت أيضاً ممتازة في ركوب الخيل، وتشحدث ست لغات، لها صوت رجال إلى حد ما، كما كانت تدرس ست ساعات، على الأقل كل يوم.

الرجال الفرنسيون يرقصون جميعاً : -

سألته الملكة بعد وصوله مباشرة تقريباً أن يرقص رقصة الباليه ! لكن ديكارت رفض بإصرار.



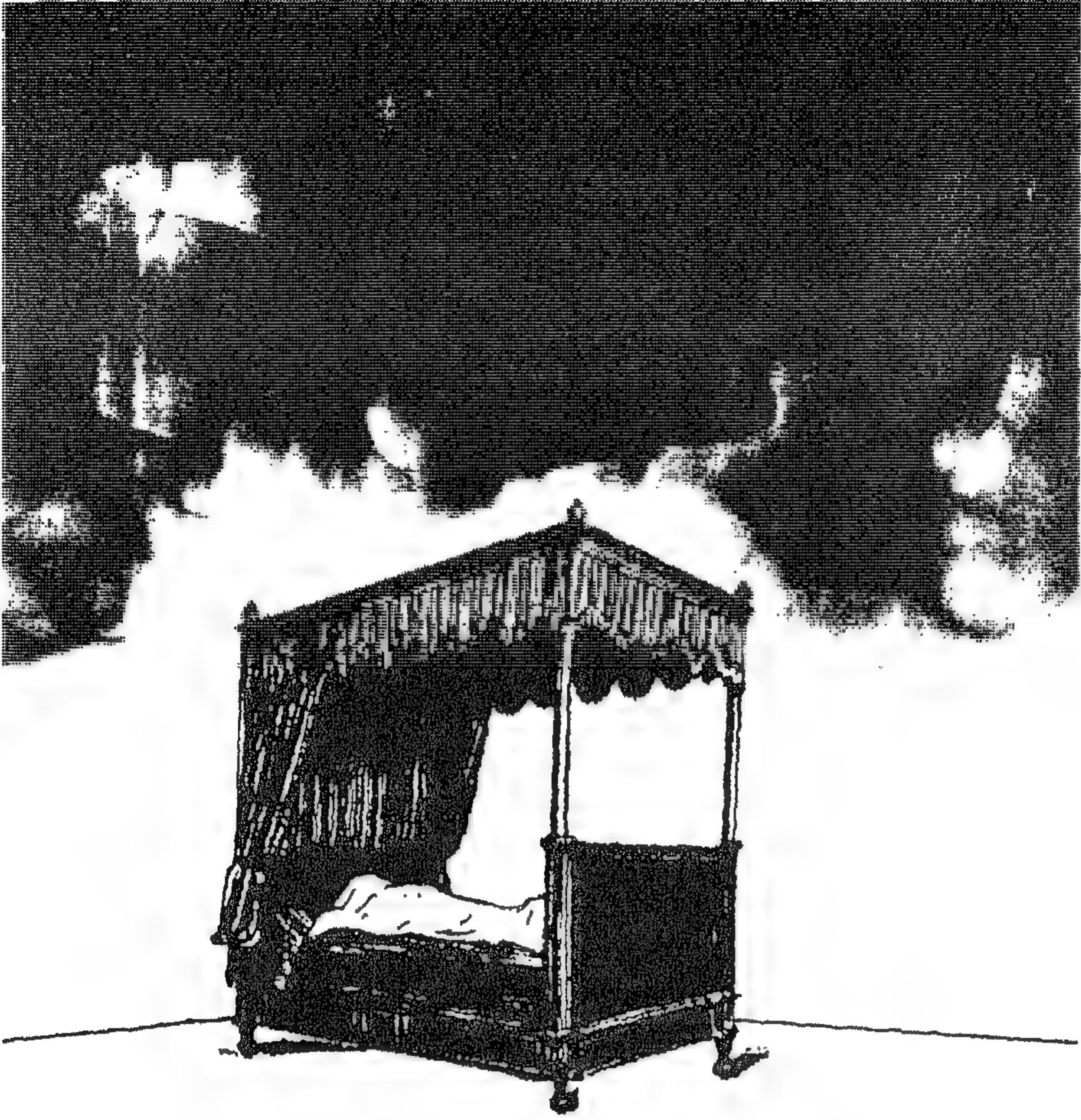
دروس في الخامسة صباحاً :

كان لديكارت تحفظات على الذهاب إلى بلاد «تعج بالدببة، والصخور،
والثلوج» (١).



كان شتاء قارس البرودة، وكان على ديكارت أن يكسر عاداته التي اتبعها طوال حياته، واضطر إلى السير إلى القصر كل صباح في جنح الظلام.

(١) وردت هذه العبارة في إحدى رسائله - قارن د. عثمان أمين «ديكارت» ص ٦٤ من الطبعة السابعة مكتبة الأنجلو عام ١٩٧٦ (المترجم).



كانت النتيجة أنه أصيب بالتهاب رئوي وتوفي عام ١٦٥٠ بعد أشهر قليلة من وصوله إلى السويد. وكانت آخر كلمات ذكرها الفيلسوف قبل وفاته «تلك نفسى» وينبغى عليها أن تغادرنى الآن!». وبعد ثلاثة عشر عاماً من وفاته أدانت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية مؤلفاته ووضعها على قائمة الكتب الممنوعة.

كان قليل الاهتمام بالمال «وكان أكثر اهتماماً بفهم المعادن وتفسيرها، أكثر من جمعها وتكديسها» فيما يقول بيليه. وعندما توفي كان فقيراً نسبياً.

(١) ويقول المؤرخون: إن الفيلسوف تقبل الموت في بساطة. وثقة بالله، ومن غير أسف ولا جزع». (المترجم).

بقيت رسائل ديكارت بعد وفاته، ذلك لأنه أخذ معظمها معه إلى السويد وبعد دفنه عادت في قارب إلى باريس، إلا أن القارب غرق قبل أن يصل إلى غايته، فظلت مئات من رسائل ديكارت ترقد تحت الماء لمدة ثلاثة أيام.

This made me realize that
there must be a general
science... and that this
science should be termed
"universal mathematics."

read this book
who are able and want to
meditate seriously along
with me, because, quite frankly
it is.

ولحسن الطالع أعيد إصلاح معظم هذه الرسائل بعد تجفيفها ووجد أنها لا تزال صالحة، على الرغم مما فيها من غموض وتشوش.

تراث ديكارت : -

كثيراً ما يلقب ديكارت بأبي الفلسفة الحديثة لأسباب وجيهة جداً. فسوف تظل الأسئلة التي طرحها مهمة ومثيرة طالما كانت هناك موجودات تفكر في وجودها.



لقد ساعد ديكارت في إنتاج عصرنا الحاضر، بطريقة الجديدة في التفكير عن المعرفة بحيث حل محل السحر والتصوف، الأنظمة العلمية والتكنولوجية في التفكير والتحكم.

(١) ستفن هوكنج S. Howking (١٩٤٢) عالم طبيعة إنجليزي أدت بحوثه في مجال الجاذبية إلى نظرية الكوانتم في الجاذبية وإلى تفسير الثقوب السوداء التي لم تستطع نظرية النسبية تفسيرها. وقد أصدر عام ١٩٨٨ كتاباً بعنوان «تاريخ موجز للزمان» (المترجم).

أصبح العلم بعد ديكارت أكثر نسقية، وأصبح هناك اتفاقٌ عامٌ على مضمونه ومناهجه. ومن ثم فقد كان ديكارت - إلى حد ما - مسئولاً عن هذه الطرق الجديدة، نسبياً، في التفكير، التي نسميها الآن بالطرق «العلمية» التي انبعثت بالتدريج في القرن السابع عشر، وأسهمت في جعل العالم الذي نعيش فيه اليوم على ما هو عليه الآن.



وعلى الرغم من أن الكون عند ديكارت كون مادي، جاف، وهندسي، فقد بقينا نحن أنفسنا موجودات روحية غير مادية.

الفرد المفكر : -

من المرجح أن تظل الصورة الباقية لديكارت هي على الدوام صورة ذلك الشاب الذي يجلس في غرفته الدافئة وهو يكتب ليكشف جسداً جديداً للمعرفة عن طريق التفكير في أفكاره الخاصة.



يبدو ذلك معقولاً إلى أقصى حد. إلا أن معظم الفلاسفة المعاصرين الآن يعتقدون أن مشروعه العظيم كان معيلاً عيوباً أساسية.

الذهن في عصر ما بعد الحداثة : -

لا يتقبل الكثير من الفلاسفة وعلماء النفس الآن النموذج الذي قدمه ديكارت عن
الذهن بوصفه شيئاً «شفافاً»، ومن ثم فهو قابل للفحص عن طريقنا.



نحن حيوانات اجتماعية، ونحن نفكر بلغة عامة مشتركة، وهذا أمر يسهل نسيانه
عندما نجلس لنفكر في عزلة.

ولقد أنفق الفيلسوف «لودفيج فتنجنشيني» (١٨٨٩ - ١٩٥١) الكثير من الوقت في إزالة هذا النموذج الديكارتي عن الذهن وكذلك لإزالة الشك الديكارتي عن طريق بيان أنهما معاً غير مترابطين.

I **N** **the** **beginning**
في البدء

من المستحيل علينا أن نشك في وجود العالم الخارجي الذي تؤلف لغته ذاتها جميع أفكارنا الشكية.



بعض علماء التحليل النفسي في عصر ما بعد الحداثة من أمثال جان لاكان (١٨٠١ - ١٩٨١) يعتقدون أن إيماننا المشترك بذات فردية خاصة قد يكون هو نفسه وهم.



was
the **كان العالم**
Word,

اللغة سابقة عن أي فرد. ومن ثم فإذا كانت أذهاننا هي أساساً لغوية، فإن هويتنا البشرية تكون عندئذ اجتماعية على نحو لا يمكن إنكاره.

من الصعوبة بمكان الجلوس والتفكير في أفكار خاصة أكثر مما اعتقد ديكارت. وليس من الواضح تماماً «مَنْ» هو ذلك الذي يمتلك هذه الأفكار.

على الرغم من أن هناك كثيراً من
العلماء والفلاسفة يعتقدون أن
مشكلة الوعي سوف تنحل في
النهاية..

هناك آخرون كثيرون وصلوا إلى
الاعتقاد أن الموجودات الواعية لن
تكشف أبداً سر الوعي...



ربما كانت محاولة تقديم تفسير للوعي هي نفسها مهمة مستحيلة استحالة حل مشكلة
ما الذي كان موجوداً قبل أن يخلق «الانفجار الهائل» الكون.

كيف نفكر فعلاً؟

تفسير ديكارت لمعنى التفكير والإدراك هو أيضاً تفسير إشكالى، فهذا التفسير من حيث الأساس تحصيل حاصل. فقد نسب الظواهر السيكلولوجية التى يبحث عنها فى المقام الأول إلى «قزم» داخلى أو رجل صغير، وهكذا نجد أنه لم يتم تفسير شىء فى حقيقة الأمر.



ويؤكد معظم علماء النفس أن خبرتنا بالعالم هى فورية ومباشرة أكثر مما يفترض هذا النموذج. وهم يشددون كذلك على كيف أن الإدراك نشط وخالق - فالإدراك يشبه أكثر المخ الذى يكتب قصة على نحو فوري أكثر منه برجل صغير (قزم) يذهب إلى السينما!.

المعرفة واليقين :-

مشروع ديكارت في إقامة جسد نسقى جديد للمعرفة العلمية اليقينية مستمد من الأفكار الخاصة ويعبر عنه في صورة رياضية يبدو أيضاً مشروعاً وهمياً.



معتقداتنا في «القوانين» العلمية
وفي السببية هي اعتقادات
سيكولوجية وليست منطقية.

ديفيد هيوم (١٧٧١ - ١٧٧٦)



المعرفة العلمية لا يمكن إلا أن
تكون فرضية ومؤقتة فحسب.

كارل بوبر (١٩٠٢ - ١٩٩٤)

يدرك علماء القرن العشرون، في العادة، أن عملهم لا بد أن يُنظر إليه باستمرار على أنه احتمال تخميني فقط، وأنه لا يوجد شيء اسمه الحقيقة العلمية المؤكدة التي اعتقد ديكارت أن الذهن يستطيع الوصول إليها.

فى عصرها بعد الحداثة : -

هناك فلاسفة معاصرون آخرون من أمثال «بول فيربنت (١٩٢٤ - ١٩٩٤) وميشيل فولكو (١٩٢٦ - ١٩٨٤)، يشددون على أن المعرفة العلمية هى ظاهرة سياسية وثقافية، كغيرها من الظواهر الأخرى.



لهذا فربما كان ديكارت على خطأ عندما اعتقد أننا نستطيع تماماً أن نكتسب معرفة علمية مؤكدة ومضمونة.



الشك الكلي الشامل ينبع فى عصر ما بعد الحداثة من شيطان جديد خفى أو غير مرئى تماماً - أما ضياع الإيمان بقدرة اللغة على التعبير عن أى شىء غير ذاتها، فتلك قصة أخرى..

universal scepticism that is postmodernism sterile demon altogether – the loss of faith in the & to anything other than itself. But that's another m that is postmodernis ther – the loss of faith in than itself. But that's ar that is post

قراءات أبعد

واحدة من أفضل سمات فلسفة ديكارت هي إمكان قراءة أعماله الفلسفية الرئيسية مرة أخرى - وهو أمر يندر أن يقال عن كثير من الأعمال الفلسفية في القرن العشرين. فأسلوبه، واضع ومشرق وحي. وهو يشجع القارئ ليشركه في أعمال ذهنه النشط للغاية، وهو يعرض فلسفته كما لو كانت سيرة ذاتية ومغامرات عقلية شخصية لا بوصفها بحوثا أكاديمية. ومن ثم فإن قراءة هذا الفيلسوف، وكذلك قراءة نقاده، هو تجربة مثيرة لها قيمتها.

هناك مختارات جيدة من أعمال ديكارت توجد في كتاب «المؤلفات الفلسفية لديكارت التي نشرها Neslon University Anscombe & Geach الطبعة لينة الغلاف عام ١٩٧٠). وهي تشمل :-

- مقال عن المنهج.

- التأملات في الفلسفة الأولى.

- مع «اعتراضات وردود» ورسائل متنوعة مع ملخصات من أعماله الأخرى.

وهناك ترجمة لمؤلفات ديكارت استخدمها كاتب هذه السطور في مجلدين بعنوان «الأعمال الفلسفية لديكارت ترجمة Cottingham (مطبعة جامعة كامبردج عام ١٩٨٥).

من المحتمل أن يكون أفضل مدخل لفلسفة ديكارت هو كتاب «ديكارت» بقلم جون جوتنجهام (Black well عام ١٩٨٦) وكذلك كتابه عن المذهب العقلي Rationalism (Paladin Granda عام ١٩٨٤ فهو كتاب مفيد للغاية.

وهناك كثير من المؤلفات النقدية الأخرى المفيدة عن ديكارت

هناك الكثير من الكتب عن فلسفة الرياضيات، وإليك بعضها:

John D. Barrow, *Pi in the Sky* (Clarendon Press, 1992).

Carl Boyer, *A History of Mathematics* (Wiley, 1995).

Davis and Hersh, *The Mathematical Experience* (Penguin, 1983), and *Descartes' Dream* (Penguin, 1988).

Robert Osserman, *Poetry of the Universe* (Weidenfeld, 1995).

Ian Stewart, *Nature's Numbers* (Weidenfeld & Nicholson, 1995).

كما أن هناك كثيرًا من الكتب عن الوعي وفلسفة الروح، فيما يلي بعض
هذه الكتب الحديثة : —

Consciousness and the Philosophy of Mind books are
Published in alarming numbers. Here are a few recent ones.

Francis Crick, **The Astonishing Hypothesis: The Scientific
Search for The Soul** (Simon & Schuster, 1994).

Daniel C. Dennet, **Kinds of Minds: Towards an Understanding of
Consciousness** (Weidenfeld & Ncholson, 1996).

Owen Flanagan, **Consciousness Reconsidered** (MIT, 1995).

Richard Gregory (ed.) **The Oxford Companion to the Mind**
(Oxford University Press, 1987).

David Hodgson, **The Mind Matters: Consciousness and Choice
in a Quantum World** (Oxford University Press, 1995).

Darryl Reaney, **Music of the Mnd: An Adventure into
Consciousness** (Souvenir, 1995).

The Philosophy of Science is a daunting subject, but there are
two excellent introductory books on the subject.

A.F. Chalmers, **What is this thing called Science?** (Open
University Press, 1980).

Anthony O'Hear, **An Introduction to the Philosophy of Science**
(Oxford University Press 1990).

And for the doubters: Christopher Hookway, **Scepticism**
(Routledge, 1990).

كُتِبَ للمترجم :

أولاً: التأليف:

١ - "المنهج الجدلي عند هيجل" طبعة أولى دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ - طبعة ثانية وثالثة دار التنوير ببيروت ١٩٩٣ (العدد الثانى من المكتبة الهيجلية) طبعة خامسة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ .

٢ - "مدخل إلى الفلسفة" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٢ - طبعة خامسة ١٩٨٢ - طبعة سادسة مؤسسة دار الكتب بالكويت عام ١٩٩٣ .

٣ - "كيركجور: رائد الوجودية" المجلد الأول (حياته وأعماله) طبعة أولى دار الثقافة ١٩٨٢ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت ١٩٨٢ (العدد الثانى من سلسلة الفكر المعاصر).

٤ - "دراسات هيجلية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية).

٥ - "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثالثة عام ١٩٩٣ .

٦ - "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الأول "جدل الفكر" دار التنوير عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٨ من سلسلة المكتبة الهيجلية) - طبعة ثالثة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ .

٧ - "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثانى "جدل الطبيعة" دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٩ من سلسلة المكتبة الهيجلية) - طبعة ثالثة مكتبة مدبولى ١٩٩٦ .

٨ - "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثانى "جدل الطبيعة" دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ١٠ من سلسلة المكتبة الهيجلية) - طبعة ثالثة مكتبة مدبولى ١٩٩٦ .

٩ - "دراسات فى الفلسفة السياسية عند هيجل" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ . مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ .

١٠ - "كيركجور : رائد الوجودية" المجلد الثانى "فلسفته" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٦ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ .

١١ - "أفلاطون .. والمرأة" طبعة أولى حوليات كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٢ - طبعة ثانية مكتبة مدبولى ١٩٩٦ (سلسلة الفيلسوف والمرأة).

١٢ - "رحلة فى فكر زكى نجيب محمود" مكتبة مدبولى ١٩٩٨ .

١٣ - "الطاغية : دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسى" سلسلة عالم المعرفة فبراير عام ١٩٩٤ . طبعة ثالثة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ .

١٤ - "معجم ديانات وأساطير العالم" (أربع مجلدات) مكتبة مدبولى بالقاهرة.

١٥ - "مدخل إلى الميتافيزيقا" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩ .

١٦ - "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩ .

ثانياً: بحوث ودراسات:

١ - "المقولات بين أرسطو وكانط وهيغل" .. دراسة بحوليات كلية التربية بجامعة الفتح بليبيا عام ١٩٧٦ .

٢ - "مفهوم التهكم عند كيركجور" دراسة بحوليات كلية الآداب - جامعة الكويت عدد رقم ١٩ عام ١٩٨٣ .

٣ - "الهيكلية" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت .

٤ - "الهيكلية الجديدة" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت .

٥ - "الفلسفة الثنائية عند زكى نجيب محمود" عالم الفكر بالكويت (مجلد عشرون) العدد الرابع يناير عام ١٩٩٠ .

٦ - "مسيرة الديمقراطية : رؤية فلسفية" مجلة عالم الفكر بالكويت يناير عام ١٩٩٤ .

٧ - "هيباشيا: فيلسوفة الإسكندرية" مجلة عالم الفكر بالكويت .

٨ - "زكى نجيب محمود فى جامعة الكويت" مجلة عالم الفكر بالكويت، يناير عام ١٩٩٩ .

ثالثاً: الترجمة:

١ - "الجبر الذاتى" رسالة كتبها بالإنجليزية الدكتور زكى نجيب محمود - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر عام ١٩٧٢ - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٨ .

- ٢ - "العقل فى التاريخ" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٣ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٠ - وطبعة رابعة ١٩٩٣ (العدد الأول فى سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٩ .
- ٣ - "روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط" اتين جلسون - دار الثقافة عام ١٩٧٢ - طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ٤ - "فلسفة هيغل" تأليف ولتر ستيس المجلد الأول "المنطق وفلسفة الطبيعة" دار التنوير عام ١٩٨٣ - وطبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الثالث من المكتبة الهيجلية) .
- ٥ - "فلسفة هيغل" تأليف ولتر ستيس المجلد الثانى "فلسفة الروح" الطبعة الثالثة عام ١٩٨٣ - والرابعة عام ١٩٩٣ (العدد الرابع من المكتبة الهيجلية) .
- ٦ - أصول فلسفة الحق" لهيغل المجلد الأول طبعة أولى دار الثقافة عام ١٩٨١ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٣ - طبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الخامس من المكتبة الهيجلية) .
- ٧ - "موسوعة العلوم الفلسفية لهيغل" طبعة أولى عام ١٩٨٣ دار التنوير بيروت - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد الثالث من سلسلة المكتبة الهيجلية) - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ٨ - "العالم الشرقى" المجلد الثانى من محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيغل (العدد التاسع من سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة أولى عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ - مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩ .
- ٩ - "الوجودية" تأليف جون ماكورى سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٥٨ أكتوبر عام ١٩٨٢ - طبعة ثانية دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٧ .
- ١٠ - "أصول فلسفة الحق لهيغل" المجلد الثانى دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية) مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ١١ - "هيغل .. والديمقراطية" تأليف ميشيل متياس - دار الحدائق بيروت عام ١٩٩٠ - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ١٢ - "المعتقدات الدينية بين الشعوب" تأليف جوفرى بارندر - سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ١٧٣ مايو ١٩٩٣ - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .

- ١٣ - "الدين والعقل الحديث" تأليف و. ستيس - مكتبة مدبولي عام ١٩٩٨ .
- ١٤ - "التصوف .. والفلسفة" تأليف و. ستيس - مكتبة مدبولي عام ١٩٩٨ .
- ١٥ - "جون ستيوارت مل" أسس الليبرالية السياسية (بالاشتراك) مكتبة مدبولي عام ١٩٩٦ .

رابعًا: مراجعة:

- ١ - "الموت في الفكر الغربي" تأليف جاك شورون - ترجمة كامل يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٧٦ أبريل عام ١٩٨٤).
- ٢ - "الفلاسفة الأغريق: من طاليس إلى أرسطو" تأليف و. جوتري - ترجمة رأفت حليم سيف - دار الطليعة بالكويت عام ١٩٨٥ .
- ٣ - "الفلسفات الشرقية" تأليف جون كولر - ترجمة يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت).

خامسًا: التأليف بالاشتراك:

- ١ - "المنطق ومناهج البحث العلمي" للصف الثالث الثانوي - بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية الليبية عام ١٩٧٧ .
- ٢ - "دراسات فلسفية" للمستوى الرفيع - بتكليف من وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية عام ١٩٩٢ .
- ٣ - "مبادئ التفكير الفلسفي" للثانوية العامة - بتكليف من وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت عام ١٩٩٨ .



المحتويات

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|-----------------------------------|--------|--|--------|
| المقدمة | ٥ | هل يمكن لحواسنا أن تكذب علينا؟ | ٥٢ |
| البداية الحديثة | ٧ | هل نحن فى حالة يقظة أم لا؟ | ٥٣ |
| الطفولة والشباب | ٨ | استحالة اللغة الخاصة | ٥٦ |
| الجندي | ١٠ | عود إلى السلة | ٥٨ |
| أحلام ديكرات الثلاثة | ١٢ | التفاحة الأخيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود" | ٥٩ |
| ديكرات يستقر فى هولندا | ١٥ | ما هو الكوجيتو؟ | ٦١ |
| الاسكولائية | ١٧ | مأزق الكوجيتو | ٦٣ |
| الأيام الأولى للعلم | ١٩ | المعرفة العامة | ٦٤ |
| ما المقصود بالعلم | ٢٣ | قاعدة الوضوح والتميز | ٦٥ |
| رد المعرفة إلى الرياضيات | ٢٤ | مشكلات قاعدة الوضوح والتميز | ٦٦ |
| ديكرات العالم | ٢٥ | الحاجة إلى الله | ٦٧ |
| السبب أو العلة | ٢٧ | الدور الديكراتي | ٧٠ |
| مقال عن المنهج | ٢٨ | الدليل الوجودى على وجود الله | ٧١ |
| واضح أمام العقل | ٢٩ | سلسلة من البراهين المكشوفة | ٧٢ |
| ما المقصود بالفكرة الواضحة | ٣٠ | ارتكاب الأخطاء | ٧٣ |
| الضرورة المنطقية والضرورة السببية | ٣٢ | العقل ضد الإرادة | ٧٤ |
| هل تستطيع أن تعرف شمع العسل | ٣٤ | الاعتقاد زهيد الثمن | ٧٦ |
| العقليون والتجريبيون | ٣٥ | الاعتقاد والإيمان | ٧٧ |
| تاريخ موجز عن مذهب الشك | ٣٧ | رهان جيد | ٧٨ |
| البيرونيون | ٣٨ | حياه هادئة فى هولنده | ٨٠ |
| سكستوس والشكاك وآخرون | ٤١ | تأملات فى الإدراك الحسى | ٨٦ |
| الشك الديكراتي | ٤٣ | استحضار الإله مرة أخرى | ٨٨ |
| الحلم | ٤٨ | اليقين الرياضى | ٨٩ |
| العقليون والعقل | ٤٩ | الرياضيات اليونانية القديمة | ٩٠ |
| الشیطان الخفى | ٥٠ | هل بنية الكون رياضية؟ | ٩١ |

| | | | |
|-----|--------------------------------|-----|-----------------------------------|
| ١٣٩ | جوانب من الوعي | ٩٢ | ديكارت عالم رياضيات |
| ١٤١ | أدمغه لا أذهان | ٩٣ | صرامة الرياضيات |
| ١٤٢ | السلوكيون | ٩٥ | نسبية الرياضيات |
| ١٤٣ | مشاكل أمام السلوكيين | ٩٦ | الشكليون |
| ١٤٤ | الفزيكاليون | ٩٧ | القصة الناجحة |
| ١٤٥ | مشكلات | ٩٩ | الكائنات البشرية الرياضية |
| ١٤٧ | النظرية الوظيفية | ١٠٠ | جعل كل شئ رياضياً |
| ١٤٩ | مشكلات | ١٠٢ | الشئ الممتد |
| ١٥٠ | البشر والكمبيوتر | ١٠٧ | شئ مفكر |
| ١٥٢ | هل يمكن للكمبيوتر أن يفهم | ١٠٨ | الثنائية الديكارتية |
| ١٥٥ | المبادئ | ١٠٩ | الحجة الثنائية |
| ١٥٦ | التقاعد | ١١٠ | الوجود المفكر |
| ١٥٨ | ديكارت والأخلاق | ١١٢ | مشكلات على الثنائية الديكارتية |
| ١٦٠ | دعوه إلى المجلثرا | ١١٣ | حجة أخرى |
| ١٦١ | دعوة إلى السويد | ١١٤ | الموجودات البشرية واللغة |
| ١٦٢ | الرجال الفرنسيون يرقصون جميعاً | ١١٥ | ءدمغه أم أذهان؟ |
| ١٦٣ | دروس في الخامسة صباحاً | ١١٦ | نتائج تلف المخ أو الدماغ |
| ١٦٦ | تراث ديكارت | ١١٧ | التأثير المتبادل بين الذهن والجسد |
| ١٦٨ | الفرد المفكر | ١٢٠ | رؤية لعالم وسماعه |
| ١٦٩ | الذهن في عصر ما بعد الحداثة | ١٢٢ | الإدراك والتخيل |
| ١٧٢ | كيف نفكر فعلاً | ١٢٤ | الاختبار يفسر الإحساسات |
| ١٧٣ | المعرفة واليقين | ١٢٧ | فلسفة الروح |
| ١٧٤ | في عصر ما بعد الحداثة | ١٢٨ | فتح باب النقد |
| ١٧٧ | قراءات أبعد | ١٣٠ | مشكلة النفس والبدن |
| ١٧٩ | كتب للمترجم | ١٣٢ | بعض الإجابات العجيبة |
| ١٨٣ | المحتوى | ١٣٦ | كيف يتطور المخ إلى الذهن |
| | | ١٣٨ | ما هو الوعي |

المشروع القوي للترجمة

| | | |
|---|------------------------------|---|
| ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد درويش |
| ٢ - الوثنية والإسلام | ك. مدهو باننيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣ - التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقي جلال |
| ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو | انجا كاريتنكوفا | ت : أحمد الحضري |
| ٥ - ثريا في غيبوبة | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦ - اتجاهات البحث اللساني | ميلكا إقيتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكي |
| ٨ - مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩ - التغيرات البيئية | أندرو س. جودي | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠ - خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر طي |
| ١١ - مختارات | فيسوفا شيمبوريسكا | ت : هناء عبد الفتاح |
| ١٢ - طريق الحرير | ديفيد براونستون وايرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣ - ديانة الساميين | روبرتسن سميث | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٤ - التحليل النفسي والأدب | جان بيلمان نويل | ت : حسن المودن |
| ١٥ - الحركات الفنية | إدوارد لويس سميث | ت : أشرف رفيق عفيفي |
| ١٦ - أثينة السوداء | مارتن برنال | ت : بإشراف / أحمد عثمان |
| ١٧ - مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوي |
| ١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية | مختارات | ت : طلعت شاهين |
| ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة | جورج سفيريس | ت : نعيم عطية |
| ٢٠ - قصة العلم | ج. ج. كراوثر | ت : يمنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح |
| ٢١ - خوخة وألف خوخة | صمد بهرنجي | ت : ماجدة العناني |
| ٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد علي الناصري |
| ٢٣ - تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤ - ظلال المستقبل | باتريك بارندر | ت : بكر عباس |
| ٢٥ - مثنوى | مولانا جلال الدين الرومي | ت : إبراهيم الدسوقي شتا |
| ٢٦ - دين مصر العام | محمد حسين هيكل | ت : أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧ - التنوع البشري الخلاق | مقالات | ت : نخبة |
| ٢٨ - رسالة في التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩ - الموت والوجود | جيمس ب. كارس | ت : بدر الديب |
| ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مدهو باننيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي | جان سوفاجيه - كلود كاين | ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب |
| ٣٢ - الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم فهمي |
| ٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية | أ. ج. هوبكنز | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣٤ - الرواية العربية | روجر آلن | ت : حصة إبراهيم المنيف |
| ٣٥ - الأسطورة والحداثة | بول . ب . ديكسون | ت : خليل كلفت |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٦ - نظريات السرد الحديثة | والاس مارتن | ت : حياة جاسم محمد |
| ٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها | بريجيت شيفر | ت : جمال عبد الرحيم |
| ٢٨ - نقد الحداثة | آلن تورين | ت : أنور مغيث |
| ٢٩ - الإغريق والحسد | بيتر والكوت | ت : منيرة كروان |
| ٤٠ - قصائد حب | آن سكستون | ت : محمد عيد إبراهيم |
| ٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية | بيتر جران | ت : عاطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ماجد |
| ٤٢ - عالم ماك | بنجامين بارير | ت : أحمد محمود |
| ٤٣ - الذهب المزدوج | أوكتايفو پاث | ت : المهدي أخريف |
| ٤٤ - بعد عدة أصياف | ألدوس هكسلي | ت : مارلين تادرس |
| ٤٥ - التراث المغدور | روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين | ت : أحمد محمود |
| ٤٦ - عشرون قصيدة حب | بابلو نيرودا | ت : محمود السيد على |
| ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية | فرانسوا دوما | ت : ماهر جويجاتي |
| ٤٩ - الإسلام في البلقان | ه . ت . نوريس | ت : عبد الوهاب غلوب |
| ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير | جمال الدين بن الشيخ | ت : محمد برادة وعثمانى الميود ويوسف الأنطكى |
| ٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية | داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى | بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل | ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش |
| ٥٣ - الدراما والتعليم | أ . ف . ألجتون | ت : مرسى سعد الدين |
| ٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح | ج . مايكل والتون | ت : محسن مصيلحى |
| ٥٥ - ما وراء العلم | جون بولكنجهوم | ت : على يوسف على |
| ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود على مكى |
| ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى |
| ٥٨ - مسرحيتان | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٩ - المحبرة | كارلوس مونيث | ت : السيد السيد سهيم |
| ٦٠ - التصميم والشكل | جوهانز ايتين | ت : صبرى محمد عبد الفنى |
| ٦١ - موسوعة علم الإنسان | شارلوت سيمور - سميث | مراجعة وإشراف : محمد الجوهري |
| ٦٢ - لغة النص | رولان بارت | ت : محمد خير البقاعى . |
| ٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) | آلان وود | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى | برتراند راسل | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٦٧ - مختارات | فرناندو بيسوا | ت : المهدي أخريف |
| ٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى | فالنتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين | عبد الرشيد إبراهيم | ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى |
| ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية | أوخينيو تشانج رودريجت | ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد |
| ٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى | داريو فو | ت : حسين محمود |

- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
- ٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٣ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بوريدس أوسبىنسكى
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دى أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الألب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاى
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالتغرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتونى جيدنز
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
- ٩٣ - محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - الحب الأول والصحبة صمويل بيكيت
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإشباني أنطونيو بويرو بايخو
- ٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة قصص مختارة
- ٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) فرنان برودل
- ٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى نماذج ومقالات
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
- ١٠٠ - مساعلة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليط
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
- ١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء عبد الوهاب المؤدب
- ١٠٤ - أوبرا ماهوجنى برتولت بريشت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع چيرارچينيت
- ١٠٦ - الأدب الأندلسى د. ماريا خيسوس روبييرامتى
- ١٠٧ - مررة الدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
- ت : حسن فاظم وعلى حاكم
- ت : حسن ميموى
- ت : أحمد درويش
- ت : عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت : سعيد الغانمى وناصر خلاوى
- ت : مكارم الغمرى
- ت : محمد طارق الشرقاوى
- ت : محمود السيد على
- ت : خالد المعالى
- ت : عبد الحميد شبيحة
- ت : عبد الرازق بركات
- ت : أحمد فتحى يوسف شتا
- ت : ماجدة العنانى
- ت : إبراهيم الدسوقى شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محبى الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب غلوب
- ت : فوزية العشماوى
- ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إدوار الخراط
- ت : بشير السباعى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحى
- ت : رشيد بنحدو
- ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
- ت : محمد بنيس
- ت : عبد الغفار مكاوى
- ت : عبد العزيز شبيل
- ت : أشرف على دعدور
- ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادي أرلين علوي ماكليود
١١٣ - راية التمرد سادي پلانت
١١٤ - مسرحيات حصاد كونجى وسكان المستنقع وول شورينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلى أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية نينل الكسندر وفنادولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراى
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفى
١٢٦ - فعل القراءة فولفانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحى
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيث
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز فرانك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو
١٣٧ - منكرات ضابط في الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيفيلينا تارونى
١٣٩ - باريسيفال ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار هيربرت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا النظر في البحث الاجتماعى ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولادونى
- ت : محمرد على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سمىة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : ليس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليغ
ت : سمحه الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعى
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقى جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحى
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبورى
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومى
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

| | | |
|---|--------------------------------|----------------------------|
| ١٤٥ - موت أرتيميو كروث | كارلوس فويتس | ت : أحمد حسان |
| ١٤٦ - الورقة الحمراء | ميجيل دى ليبس | ت : على عبد الرؤوف البمبي |
| ١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة | تانكريد دورست | ت : عبد الغفار مكاوي |
| ١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) | إنريكي أندرسون إمبرت | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأنتونيس | عاطف فضول | ت : أسامة إسبر |
| ١٥٠ - التجربة الإغريقية | روبرت ج. ليتمان | ت: منيرة كروان |
| ١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) | فرنان برودل | ت : بشير السباعي |
| ١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى | نخبة من الكتاب | ت : محمد محمد الخطابي |
| ١٥٣ - غرام الفراعنة | فيولين فاتويك | ت : فاطمة عبد الله محمود |
| ١٥٤ - مدرسة فرانكفورت | فيل سليتر | ت : خليل كلفت |
| ١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر | نخبة من الشعراء | ت : أحمد مرسى |
| ١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى | جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو | ت : مى التلمساني |
| ١٥٧ - خسرو وشيرين | النظامى الكنجوى | ت : عبد العزيز بقوش |
| ١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) | فرنان برودل | ت : بشير السباعي |
| ١٥٩ - الإيديولوجية | ديفيد هوكس | ت : إبراهيم فتحى |
| ١٦٠ - آلة الطبيعة | بول إيرليش | ت : حسين بيومى |
| ١٦١ - من المسرح الإسباني | اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا | ت : زيدان عبد الحليم زيدان |
| ١٦٢ - تاريخ الكنيسة | يوحنا الآسيوى | ت : صلاح عبد العزيز محجوب |
| ١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ | جوردون مارشال | ت بإشراف : محمد الجوهري |
| ١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) | جان لاكوثير | ت : نبيل سعد |
| ١٦٥ - حكايات الثعلب | أ . ن أفانا سيفا | ت : سهير المصادفة |
| ١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل | يشعياهو ليفمان | ت : محمد محمود أبو غدير |
| ١٦٧ - فى عالم طاغور | رابندراناث طاغور | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة | مجموعة من المؤلفين | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٦٩ - إبداعات أدبية | مجموعة من المبدعين | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٧٠ - الطريق | ميفيل دلبيس | ت : بسام ياسين رشيد |
| ١٧١ - وضع حد | فرانك بيجو | ت : هدى حسين |
| ١٧٢ - حجر الشمس | مختارات | ت : محمد محمد الخطابي |
| ١٧٣ - معنى الجمال | ولتر ت . ستيس | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء | ايليس كاشمور | ت : أحمد محمود |
| ١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية | لورينزو فيلمشس | ت : وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية | توم تيتنبرج | ت : جلال البنا |
| ١٧٧ - أنطون تشيخوف | هنرى تروايا | ت : حصه إبراهيم منيف |
| ١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث | نخبة من الشعراء | ت : محمد حمدى إبراهيم |
| ١٧٩ - حكايات أيسوب | أيسوب | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٠ - قصة جاويد | إسماعيل فصيح | ت : سليم عبدالأمير حمدان |
| ١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى | فنسنت . ب . ليتش | ت : محمد يحيى |

| | | | |
|---|-----------------------------|---|-------------------|
| ١ | ١٨٢ - العنف والنبوة | و . ب . بيتس | ت : ياسين طه حافظ |
| ١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما | رينيه جيلسون | ت : فتحي العشرى | |
| ١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام | هانز إيندورفر | ت : دسوقي سعيد | |
| ١٨٥ - أسفار العهد القديم | توماس تومسن | ت : عبد الوهاب علوب | |
| ١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل أنود | ت : إمام عبد الفتاح إمام | |
| ١٨٧ - الأرضة | بزرّج علوى | ت : علاء منصور | |
| ١٨٨ - موت الأدب | الفين كرنان | ت : بدر الديب | |
| ١٨٩ - العمى والبصيرة | بول دى مان | ت : سعيد الغانمى | |
| ١٩٠ - محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | ت : محسن سيد فرجاني | |
| ١٩١ - الكلام رأسمال | الحاج أبو بكر إمام | ت : مصطفى حجازى السيد | |
| ١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى | |
| ١٩٣ - عامل المنجم | بيتر أبراهامز | ت : محمد عبد الواحد محمد | |
| ١٩٤ - مخترعات من النقد الأنجلو - أمريكى | مجموعة من النقاد | ت : ماهر شفيق فريد | |
| ١٩٥ - شتاء ٨٤ | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور | |
| ١٩٦ - المهلة الأخيرة | فالتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ | |
| ١٩٧ - الفاروق | شمس العلماء شبلى النعمانى | ت : جلال السعيد الحفناوى | |
| ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى | إدوين إمري وآخرون | ت : إبراهيم سلامة إبراهيم | |
| ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة الثمانية | يعقوب لنداوى | ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد | |
| ٢٠٠ - ضحايا التنمية | جيرمى سيبروك | ت : فخرى لبيب | |
| ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصارى | |
| ٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جزء ١ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد | |
| ٢٠٢ - الشعر والشاعرية | ألطاف حسين حالى | ت : جلال السعيد الحفناوى | |
| ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم | زالمان شازار | ت : أحمد محمود هويدى | |
| ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافاللى - سفورزا | ت : أحمد مستجير | |
| ٢٠٦ - الهيولى تصنع علماً جديداً | جيمس جلايك | ت : على يوسف على | |
| ٢٠٧ - ليل إفريقي | رامون خوتاسنديز | ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف | |
| ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى | دان أوريان | ت : محمد أحمد صالح | |
| ٢٠٩ - السرد والمسرح | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ | |
| ٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى | سنائى الغزنوى | ت : يوسف عبد الفتاح فرج | |
| ٢١١ - فردينان دوسويسير | جوناثان كلر | ت : محمود حمدي عبد الغنى | |
| ٢١٢ - قصص الأمير مرزبان | مرزبان بن رستم بن شروين | ت : يوسف عبد الفتاح فرج | |
| ٢١٣ - مصر منذ قوم نالون حتى رجل عبد النصر | ريمون فلاور | ت : سيد أحمد على الناصرى | |
| ٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع | أنتونى جيدنز | ت : محمد محمود محى الدين | |
| ٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جزء ٢ | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى | |
| ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ | |
| ٢١٧ - عولة السياسة العالمية | جون بايلس وستيث سميث | ت : وجيه سمعان عبد المسيح | |
| ٢١٨ - رايولا | خوليو كورتازان | ت : على إبراهيم على منوفى | |

| | | |
|---|-------------------------|--|
| ٢١٩ - بقايا اليوم | كازو ايشجورو | ت : طلعت الشايب |
| ٢٢٠ - الهولوية فى الكون | بارى باركر | ت : على يوسف على |
| ٢٢١ - شعرية كفافى | جريجورى جوزدانيس | ت : رفعت سلام |
| ٢٢٢ - فرانز كافكا | رونالد جراى | ت : نسيم مجلى |
| ٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر | بول فيرابنر | ت : السيد محمد نغادى |
| ٢٢٤ - دمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد |
| ٢٢٥ - حكاية غريق | جابريل جارتيا ماركث | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى | ديفيد هربت لورانس | ت : طاهر محمد على البربرى |
| ٢٢٧ - المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر | موسى ماريديا ديف بوركى | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد | نورمان كيمن | ت : أمير إبراهيم العمرى |
| ٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز جاكوب | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣١ - الدرافيل | خايمى سالوم بيدال | ت : جمال أحمد عبد الرحمن |
| ٢٣٢ - مابعد المعلومات | توم ستينر | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣٣ - فكرة الاضمحلال | أرثر هيرمان | ت : طلعت الشايب |
| ٢٣٤ - الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | ت : فؤاد محمد عكود |
| ٢٣٥ - ديوان شمس التبريزى | جلال الدين مولوى رومى | ت : إبراهيم الدسوقي شتا |
| ٢٣٦ - الولاية | ميشيل تود | ت : أحمد الطيب |
| ٢٣٧ - مصر أرض الوادى | روين فيدين | ت : عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨ - العولة والتحرير | الانكتاد | ت : ياسر محمد جاد الله وعربى منبولى أحمد |
| ٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلارافر - رايوخ | ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق |
| ٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامى حافظ | ت : صلاح عبد العزيز محمود |
| ٢٤١ - فى انتظار البرابرة | ك. م كويتز | ت : ابتسام عبد الله سعيد |
| ٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | ت : صبرى محمد حسن عبد النبى |
| ٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١ | ليفى بروفنتسال | ت : مجموعة من المترجمين |
| ٢٤٤ - الغليان | لاورا إسكييل | ت : نادية جمال الدين محمد |
| ٢٤٥ - نساء مقاتلات | إليزابيتا أديس | ت : توفيق على منصور |
| ٢٤٦ - قصص مختارة | جابريل جرتيا ماركث | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والعداثة فى مصر | ولتر أرمبرست | ت : محمد الشرقاوى |
| ٢٤٨ - حقول عدن الخضراء | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٢٤٩ - لغة التمزق | دراجو شتامبوك | ت : رفعت سلام |
| ٢٥٠ - علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ت : ماجدة أباطة |
| ٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢ | جوردون مارشال | ت : بإشراف : محمد الجوهري |
| ٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | ت : على بدران |
| ٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوفا | ت : حسن بيومى |
| ٢٥٤ - الفلسفة | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٥ - أفلاطون | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٦ - ديكارت | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٥٤٤ / ٢٠٠١

Introducing... Descarts

& Dave Robinson
& Judy Groves

أقدم لك ... هذه السلسلة !

إذا كانت الشكوى عامة من غموض الفلسفة والتباس أفكارها ومشكلاتها على ذهن القارئ العادي غير المدرب، فإن هذه السلسلة تحاول أن تتغلب على هذه الصعوبة، وأن تقوم بدور فعال عن طريق الصور، والرسوم، والأشكال التوضيحية التي تعبر عن الفكرة الفلسفية دون إخلال بمضمونها أو عمقها - إستناداً إلى قاعدة هامة في علم النفس تقول : " إن أغلب الناس بصريون ... " .

لكن السلسلة لاكتفى بذلك بل يربط المؤلفان فكر الفيلسوف بما قبله من مذاهب فلسفية حتى يظهر في سياقها التاريخي .. كما يتحدثان عن أثره في الفكر الفلسفي اللاحق.

ولا يفوقهما بعد ذلك من توجيه النقد إلى مواطن الضعف وإبراز المفارقات والصعوبات التي تواجه ما يوضحان له من أفكار مما يقدم لك قيمة منهجية هامة هي أنه لا يوجد مفكر أو فيلسوف فوق النقد...
وذلك كله يجعل قراءة الكتاب - حتى بالنسبة للقارئ المتخصص متعة لا تقدر...